الدكتور
عبد الرحمن عُطبة

المأمون والنصارى

التعامل من منظور إسلامي

دار الأوزاعي

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

يطلب في سورية : من المؤلف ص.ب ١٦٣٦٩ حلب

هاتف : ٢٦٨٤٧٦٠ / ٢١ - ٠٠٩٦٣

يطلب في لبنان : دار الأوزاعي ص.ب ٦٠١٠ - ١٤ بيروت

هاتف : ٦٦٠٦٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ٣

المقدمة

يعيش المسلمون والنصارى في البلاد العربية في وئام وصفاء منذ مطالع الدعوة الإسلامية وحتى اليوم . إلا أن بعضاً من الجهل ، وبعضاً من سوء الفهم ، وبعضاً من التعصب الناجم عنهما ، وبعضاً من الدسائس الخارجية التي يغيظ أصحابَها هذا التوافق والانسجام ، إن بعضاً من هذه الأمور كان يقع بين أفراد من الفئتين ، وكان يؤدي في بعض الأحيان إلى تعكير صفو التعايش والتجانس الذي ينعم الجميع بتفيّؤ ظلاله . ولكن مثل هذه الشوائب سرعان ما كانت تبدّدها وشائج القربى وروابط الحب ودوافع الثقة وتسامي القيم الروحية والأخلاقية المشتركة ؛ الأمر الذي كان يقطع الطريق دائماً أمام الجهلة من الفئتين ، وكذلك أمام الدساسين والمتربصين الخارجيين الذين كانوا يهتبلون الفرص للدس والإيقاع ، ويبقى جو الصفاء والحب والتقدير هو المخيّم على الجميع وهو الذي يسود العلاقات بينهما دائماً .

غرضنا من هذا الكتاب هو عرض وجهة نظر إسلامية حول كيفية تعامل المسلمين مع النصارى من منظور إسلامي ، وتأكيد الجوانب الإيجابية بينهما ، والتركيز على نقاط الالتقاء ، مذكرين المسلمين بما يفرضه عليهم دينهم من هذا التعامل ، وكاشفين أمام المسيحيين بعض حقائق ديننا تجاههم ، وموضحين للغافلين من الفئتين بعض الحقائق التي درجوا على فهمها خطأً .

المنهج الذي التزمناه في هذا البحث هو المنهج التاريخي الذي يستند إلى النصوص ، يدعمّه المنهج التحليلي ، كما أن منهجية البحث تقتضي الإشارة إلى ضرورة التحفظ لدى استخدام بعض المصطلحات في الدينين الإسلامي والمسيحي ، فقد يكون لمصطلح ما مدلول واحد في الدينين ، وقد يكون لمصطلح آخر مدلولان مختلفان عندهما ، وعند ورود مثل هذا المصطلح يُراعى في فهمه ما يعتقد أبناء كل دين تجاهه .

أما مصادر البحث فهي النصوص الأساسية في كلا الدينين : فالمصادر الإسلامية تتمثل في القرآن والسنة وأعمال وأقوال الخلفاء الراشدين وكتابات عدد من كبار العلماء المسلمين ، وأما المصادر المسيحية فإنها تتمثل في الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل وكتابات بعض كبار العلماء المسيحين وبعض الوثائق والمواقف الحديثة للفاتيكان والمجلس الكنائس العالمي [1] .

إن هدفنا الأساسي من هذا البحث هو أن يعرف المسلمون والنصارى بعضهم بعضاً من خلال النصوص الأساسية في دينهم ، وأن يعرفوا ، على الخصوص ، كيف يتعاملون من منطق التزام كل منهم بأوامر وتعاليم دينه ، ذلك أن كثيراً منهم يجهلون بعض الحقائق عن الآخرين ، وهي من صلب عقيدتهم ، ومن ثَمَّ يبنون على هذا الجهل مواقف محكومة بأحكام مسبقة خاطئة ، والدين الآخر منها براء .

إننا ، في توجهنا لكتابة هذا البحث ، لم نقصد إلا وجه الله سبحانه ، راجين ثوابه ورضوانه في ما أصبنا ، وعفوه وغفرانه بما زلّ به القلم أو الفكر ، والله سبحانه من وراء القصد .

---

[1] جميع المصادر المسيحية موثوقة ومعتمدة عند إخوتنا المسيحيين أنفسهم ، وليس فيها أي نص لا يقبلون به .

تمهيد

بواعث الكتابة كثيرة ، والكاتب في اختياره لموضوعٍ ما يكون محكوماً بدوافع تملي عليه هذا الاختيار . وفي موضوع هذا الكتاب كان الدافع إلى اختياره حوافز عديدة ، منها : ما ألمسه ويلمسه غيري من التوحّش لدى بعض المسلمين ولدى بعض النصارى ، كلٌّ تجاه الآخر ؛ هذا التوحس الذي مرده في كثير من الأحيان إلى أسباب متعددة منفردة أو مجتمعة ؛ الأمر الذي كان يثير في بعض الأحيان عداوات ، ما كان لها أن تقع لو اكتشف أصحابها حقائق ما لدى الآخرين ، أو لو رجعوا إلى روح الدين الذي يؤمنون به ، لأن الأديان تدعو إلى المحبة والتسامح .

وفي مثل هذه الحالات يكون من واجب المنصفين وذوي النيات الحسنة أن يسعَوْا إلى طلب الحقيقة ، ومن ثمَّ إلى كشفها وتقديمها للناس ، بغية إزالة غشاوة الجهل عن الأعين التي خفيت عليها بعض الحقائق .

يضاف إلى هذا العامل الأساسي الذي دفعني لكتابة هذا البحث دافع آخر هو مشاركتي في عدد من ندوات الحوار الإسلامي المسيحي التي عقدت في بعض المدن العربية والأوربية ، واتصالي خلالها برجالات من كبار العلماء المسلمين والمسيحيين لمست منهم جميعاً رغباتٍ صادقةً في فهم أعمق لبعضهم ، وحرصاً دقيقاً على الوقوف عند نقاط الالتقاء بين الدينين ، وعزماً جاداً على التعاون للوقوف في وجه الطغيان المادي الذي أخذ يكتسح أرجاء المعمورة بجوانبه الإلحادية والعلمانية والتحلّلية ، والذي استطاع ، بوسائل الإعلام المفرطة في التطور ، أن يغزو كل بيت ، وأن يؤثر في نفوس وعقول لا البسطاء فحسب ، بل في نفوس وعقول كثير من المثقفين ومن ذوي الاطلاع .

لقد كان لي شرف حضور الندوة الضخمة للحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس بالجماهيرية الليبية بين ٢ و ٦ صفر ١٣٩٦ و ١و٥ شباط فبراير ١٩٧٦ بترتيب من الجماهيرية الليبية والفاتيكان ، وشارك في أعمالها ومناقشاتها فريقان من العلماء من جميع بلاد العالم ، أحدهما مسلم مكوّن من ستة عشر عضواً برئاسة الدكتور محمد أحمد الشريف وزير التربية حينذاك وأمين جمعية الدعوة الإسلامية الآن ، والآخر مسيحي مكوّن من أربعة عشر عضواً برئاسة الكاردينال سيرجيو بينييدولي رئيس السكرتارية العامة لغير المسيحيين في الفاتيكان حينذاك ، بالإضافة إلى مئات المدعوين من اثنين وسبعين دولة .

وقد شَرُفْتُ بكوني من بين أعضاء الفريق الإسلامي ، وأحد المكلفين بالبحوث ، وبكوني عضواً في اللجنة التحضيرية للجانب الإسلامي ، ثم عضواً في لجنة الصياغة في نهاية الندوة ، كما تشرفت بعد ذلك بالمشاركة في عدد آخر من الندوات المنبثقة عن هذا الحوار ، منها : ندوتان في قرطبة ، وندوة في باريس ، وندوة في روما ، وندوتان في صقليّة إحداهما في باليرمو ، والأخرى في كاتانيا ؛ الأمر الذي جعل احتكاكي بموضوع التعامل الإسلامي المسيحي على صعيد الواقع مباشراً وصادقاً .

هذه الدوافع جميعاً حثّتني على التعجيل بكتابة هذا البحث ، مستشعراً الخطر الآنيّ الذي يترصد القيم الروحية والإنسانية التي يحرص كلا الدينين على صونها ودعمها وتمكينها . .

والتزاماً منا بمنهجية البحث ، فإن « مقارنة العقائد » لها ميدان آخر غير هذا الكتاب الذي يركّز أساساً على جانب التعامل وما يعززه من آراء ، ولكن قد يقتضي سياق أحد جوانب البحث أن يُعَرّج على قضية من قضايا العقائد ، وحينئذ يكون الهدف إما التوضيح لدفع لَبْسٍ محتمل ، وإمّا التركيز على نقطة أو نقاط للالتقاء .

وهنا ، قد يكون ضرورياً أن نشير بإيجاز إلى قضيتين خلافيتين كبيرتين تتصلان بالعقائد ، وتحتاجان إلى وقفة تأمل بسبب التداعيات التي تنجم عنهما ، وهما : أولاً

عقيدة التثليث لدى النصارى ، وهي من أسرار دينهم التي يبسطها بإيجاز الكاردينال أنريكي ترانكون مطران مدريد ورئيس أساقفة اسبانيا حين يقول : « نؤمن بأن لعيسى صبغة إلهَية ، وهذا سر عميق جداً يشغل بحق بالَ المسلمين ، ولكن يجب أن نعترف لإخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الإلهَية ـ تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين ا لله وهذا الإنسان ـ هي بالنسبة لنا أيضاً سر لا يدرك ، واستناداً إلى نصوصنا وتقليدنا العقيدي نعبر عن الوحدة الإلهَية بالتثليث ، غير أننا لا نستطيع إدراكه » .

وعلى الرغم من تلاقي الإسلام والمسيحية في نقاط كثيرة في العقائد وفي الأخلاق وأنماط السلوك وحول شخصية السيد المسيح عليه السلام ، فإن عوائق من الرفض تحول بين المسلمين وقبول عقيدة التثليث هذه ، بحكم عقيدتهم القائمة على التوحيد ، لأن موقف المسلمين منها ينبع من موقف الإسلام ذاته الرافض لها ، وبذلك لا تثريب عليهم في ما يعتقدونه في هذا الأمر .

أما القضية الخلافية الثانية فهي نبوّة محمد ﷺ ورسالته لدى المسلمين ، وتقف تجاهها كذلك ، عوائق من الرفض لدى النصارى ، لأنهم لو قبلوها لقبلوا الرسالة التي جاء بها . وهم بذلك منسجمون مع ما يعتقدونه في هذا الأمر . وفي نهاية المطاف فإن أي نقاش في مثل هذه العقائد الأساسية الخلافية بين أبناء الدينين بهدف إقناع أحدهم الطرفَ الآخر بخطأ ما يعتقده يكون غير ذي جدوى ، وعليه ، فإن علينا ، نحن المسلمين ، أن نحترم إخواننا المسيحيين في ما يعتقدون ، كما نأمل منهم أن يحترمونا في ما نعتقد . وموقفنا في هذه الأمور ينبع من صميم ديننا : ﴿ لكم دينكم ولي دين / الكافرون ـ ٦ ﴾ . ، و ﴿ لا إكراه في الدين / البقرة ــ ٢٥٦ ﴾ . كما أن لنا تمنيات على إخواننا المسيحيين الذين يعايشوننا ويعرفوننا حق المعرفة ، أن يعملوا ما أمكن على تصحيح ما يسمعونه ، وبخاصة في ديار الغرب ، مما يلصق بنبيِّنا مما ليس بحق .

إن التركيز على نقاط الالتقاء وعلى المظاهر الإيجابية للعلاقات بين الإسلام والمسيحية هدف جدير بالاعتبار وجدير بالعمل من أجل تحقيقه .

إن كثيراً من الأغلاط وقعت في التعامل بين المسلمين والنصارى عبر التاريخ . والأغلاط لا تُؤَسَّس عليها مواقف ولا علاقات ، لأن أي تقويم لسلوك الفريقين تجاه بعضهما يجب أن يُبنى على تعاليم الدين المستمدة من نصوصه ووثائقه ، لا من خلال ممارسة أتباعه . وما أصدقَ ما قرره العالم الإسلامي محمد الغزالي [1] في تأكيد هذا المعنى حين قال : « نحن نعلم أن للمسلمين والنصارى أخطاء لا يُسأل عنها الإسلام ولا النصرانية » [2] . وفي السياق نفسه ، ومن خلال التوجه نفسه نستمع إلى الأب جاكوب لانفري يقول : « ... وغالباً ما أطلقت الأحكام على ديانة الآخر من خلال ممارسة أتباعها وتصرفاتهم اليومية ، لا من خلال الهدف الذي تعرضه ولا من خلال مطاليبها الموحاة ، فالكل يعرف أن في هذه النظرة ظلماً جوهرياً ، كما أنه من الظلم أيضاً أن نقدّر ديانة الغير من خلال المقاييس الشخصية » [3] .

هذا ، وقد يكون ضرورياً أن ننوّه بأن إفراد النصارى بالتعامل من خلال المنظور الإسلامي لا يعني إقصاء غيرهم من هذا التعامل ؛ ذلك أن الإسلام يدعو إلى التعامل مع الناس جميعاً بالحسنى ، وهذا التعامل الحسن بين جميع الناس ينطلق من مبادئ واحدة قائمة على احترام الإنسان لذاته ، أيّاً كان دينه ، وبالأحرى هو كذلك بالنسبة لمعتنقي جميع الأديان ، والأديانُ السماويةُ منها بالطبع ، وعليه فإن الحوار بين أبنائها مطلوب دعماً للقيم الروحية الكبرى التي تبشّر بها هذه الأديان ، ومن ثم فإن الحوار مع اليهود أيضاً ، وهم أبناء الدين السماوي الآخر ، غير مرفوض ، بل هو مطلوب في هذا الوقت أكثر منه في أي وقت آخر ، ذلك لأن صورة اليهودي اختلطت في أذهان كثير من المسلمين والنصارى واليهود أنفسهم بصورة الصهيوني ، وشتان ما هما . فالصهيونية حركة سياسية عنصرية بينما تتصف اليهودية بأنها دين سماوي ، هو جزء من السلسلة

---

[1] محمد الغزالي : عالم إسلامي معاصر ـ من مصر . توفي عام ١٩٩٦ .

[2] الإسلام والاستبداد السياسي : محمد الغزالي ص١٠٠ .

[3] « كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا » بحث ألقي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ١٩٧٦ ـ انظر بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ص٣٧٥

المتكاملة في تاريخ الأديان المنزلة من عند الله ، وقد سمّى الله اليهود ، كما سمى النصارى ، بـ « أهل الكتاب » تقديراً لهم دون المشركين والوثنيين . واستمرار الحوار الصريح والمتواصل معهم سيكشف القناع عن الوجه الزائف للصهيونية ويسمح بمواصلة الحوار والاتصال مع أبناء الدين اليهودي للوقوف بوجه المظالم الكبرى التي تتعرض لها الإنسانية ، والتي يتعرض لها بعض اليهود أيضاً ممن لا يزالون متمسكين بدينهم ، ولم يخدعهم زيف وبهارج الادعاءات الصهيونية التي خدعت الكثيرين منهم ، بل بلغ الأمر ببعضهم أن ينظموا مظاهرات معادية للصهيونية ولدولة إسرائيل التي تتبناها ، وقد حصل ذلك منذ فترة قريبة في مدينة نيويورك أحد المراكز الأساسية لنشاط اللوبي الصهيوني ، وقد جاء خبر هذه المظاهرات المعادية في جريدة الكفاح العربي التي علّلت أسبابها ، وجاء ذكرها على الشكل التالي : « قامت في حيّ بروكلن بمدينة نيويورك أمس الأول - الخميس - أول تظاهرة يهودية ضد إسرائيل في تاريخ المدينة وتاريخ إسرائيل على السواء . قام بالتظاهرة أتباع طائفة « السامتار » اليهودية ، وهي طائفة أصولية « أرثوذوكسية » بهدف الاحتجاج على ما أسموه اضطهاد اليهود والأرثوذوكسيين بصفة مستمرة من جانب النظام الصهيوني في القدس . وقد ألقى الحاخام ديفيد نيدرمان المدير التنفيذي للمنظمات اليهودية المتحدة في قضاء « وليامزبرغ » بنيويورك كلمة في المتظاهرين قال فيها : (أيها اليهود الحقيقيون ، حملة التوراة الحقيقة ، اليوم يوم حزين بالنسبة إلى العالم اليهودي الأرثوذوكسي . إنه يوم حزين إلى حدّ أن الصمت لم يعد خياراً ، إن الكيان الصهيوني الذي يدّعي أنه يتحدث باسم يهود العالم قد أعلن الحرب سافرة ضدنا ، لقد أعلنوا جهاداً (مستخدماً الكلمة العربية) - ضد أعضاء المجتمع الإسرائيلي الذين يراعون التوراة .

وأعلن الحاخام نيدرمان أن هناك أسرى حرب أبرياء في هذه الحرب التي تشنّها السلطة الإسرائيلية على يهودٍ ، كل ذنبهم أنهم يقفون إلى جانب الدين في صورته النقية الخالصة ، وأضاف : إن المتظاهرين الذين يستمعون إليه قد نظموا هذه التظاهرة استجابة لنداء المؤتمر الحاخامي المركزي للولايات المتحدة وكندا الذي يتألف من ٣٠٠

حاخام يمثلون ٢٥٠ ألف يهودي في أنحاء العالم ، وذلك للاحتجاج على القمع الوحشي المستمر للحريات الدينية الذي تمارسه حكومه إسرائيل » [1]

وأخيراً : إن التعامل الحسن لدى أي إنسان لا يمكن أن يصدر إلا عن سلوك حسن ، وإلا عن طَوِيَّةٍ حسنة ، والأديان جميعها تدعو إلى محاسن الأخلاق ومحاسن السلوك ، ومحاسن الأعمال ، ولذا فإن الحديث عن التعامل بين المسلمين والنصارى ، وهم أرباب ديانات سماوية ، يقتضي أن تكون نتائجه إيجابية ، إذ يفترض في كل مسلم ، وفي كل نصراني أن يصدر في تصرفاته وفي تعامله عن روح دينه ، وكلا الدينين يحض على احترام الإنسان ، وعلى مكارم الأخلاق . وأما الشاذ فهو بعيد عن روح دينه وعن أخلاقيات هذا الدين ، والشاذ دائماً لا يقاس عليه ، ولا يؤبه له .

---

[1] جريدة الكفاح العربي ـ العدد ٢٢٦٣ ص٢٤ ـ بيروت ـ الاثنين ٢٦/٤/١٩٩٩ .

نظرة الإسلام إلى النصرانية

تنزل الوحي على قلب الرسول الكريم ﷺ ليكون رسولاً لا إلى العرب وحدهم ، بل إلى الناس جميعاً : ﴿ قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً / الأعراف ـ ١٥٨ ﴾ .

ومن وحي هذا التكليف للرسول بالاتجاه بتبليغ الدعوة إلى الناس جميعاً يتحدّد أسلوب التعامل بين المسلمين وغير المسلمين في الدنيا بعامة ، وفي المجتمع الإسلامي بخاصة . ومن وحي هذا التكليف فإن الناس جميعاً مؤهلون لتلقّي رسالة السماء عبر الأنبياء ، وللاضطلاع كذلك بحمل أمانتها على الأرض . وإن إحجام بعض الناس عن قبول الرسالة لا ينفي وجود هذه الأهلية التي قررها الله سبحانه لهم ، والتي تقرّر معها أن الإنسان مكرّمٌ لذاته ولإنسانيته : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم / الإسراء ـ ٧٠ ﴾ .

والآيات الواردة في القرآن والتي تشير إلى ربوبية الله سبحانه تشير كلها إلى أنه رب الناس جميعاً لا رب فئة منهم : ﴿ قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إلّه الناس .. / سورة الناس ـ ١ .. ﴾ ، وإنه أيضاً رب العالمين لا رب الناس وحدهم : ﴿ الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين .. / سورة الفاتحة ـ ١ .. ﴾ .

ومن هذا النظر كانت الدعوة إلى الله سبحانه ذات طابع شمولي ، تتجه إلى كل إنسان مهما كان جنسه ، وحيثما تكون أرضه ، وتكون هذه الدعوة غير ملزمة إذا لم ترتبط بالتبليغ ، وإذا انتفى التبليغ انتفت معه المحاسبة .

وما دام الناس مؤهلين جميعاً لحمل عقيدة الإيمان بالله ، وما داموا مكرَّمين بسبب إنسانيتهم ، فإن المساواة بينهم تكون حصيلة طبيعية لذلك ، وقد نص القرآن الكريم على هذه المساواة بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم / الحجرات ـ ١٣ ﴾ ،

كما نص على أن العدل مطلوب مع الناس جميعاً ، مهما كانت عقائدهم : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل / النساء ـ ٥٨ ﴾ ، و﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان / النحل ـ ٩٠ ﴾ ، و ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالِدَيْن والأقربين / النساء ـ ١٣٥ ﴾ . ومن هذه القيم وهي أهلية الناس لحمل دعوة الله ، والتزام المسلم بنظرة المساواة إلى الناس لكرامتهم الإنسانية ، وتكليفه بالعدل في تعامله معهم ، من خلال هذه القيم تكون علاقة المسلم بغير المسلم بعامة ، وعلاقة المسلم بغير المسلم في المجتمع الإسلامي بخاصة ، قائمةً على الاحترام وحفظ الحقوق ، يضاف إلى ذلك أن نظرة الإسلام إلى أهل الأديان السماوية هي نظرة متميّزةٌ خاصة بهم دون غيرهم ، فإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الإيمان بجميع الرسالات السماوية السابقة ، وبتكريم جميع الأنبياء والرسل الذين اضطلعوا بحمل أمانتها : ﴿ آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرّق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير / البقرة ـ ٢٨٥ ﴾ .

وهذه النظرة الإسلامية إلى تكريم الرسالات والأنبياء والرسل ليست نابعة من الفراغ ، بل هي نابعة من وحدة الأصل ، لأنها كلها من عند الله ، ومن وحدة الهدف ، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وإلى عبودية الإنسان له ، ومن وحدة التواصل والمسير : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصَّينا به موسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه / الشورى ـ ١٣ ﴾ .

وإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى الرسالات والرسل فإن المسلم مكلف أن ينظر إليها نظرة اعتبار وتقدير لا يشوبها سوء ظن أو عداء ، ذلك أن الرسالات يكمل بعضها بعضاً ، والرسالة التي تنزلت على قلب محمد ﷺ ، هي ـ في اعتقاد المسلمين ـ خاتمة هذه الرسالات ومكمّلتها : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً / المائدة ـ ٣ ﴾ . ولهذا فإن المسلمين مكلفون ، وبصيغة

الأمر ـ والأمر أعلى صيغ التكليف في الإسلام ـ مكلفون بأن يؤمنوا بهذه الرسالات ، وبحَمَلَتِها من الأنبياء والرسل ، وبالكتب التي تنزلت بها ، ودونما أي تفريق بين رسالة ورسالة ، أو رسول ورسول : ﴿ قولوا : آمنا با لله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون / البقرة ـ ١٣٦ ﴾ . وقد أحسن رسولنا محمد ﷺ وصف هذه العلاقة بين الرسالات وأنها علاقة تكامل حين قال : « مَثَلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاّ وُضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » [١] ، كما أحسن وصف علاقته بالأنبياء السابقين حيث جعلهم جميعاً إخوة ، أبوهم واحد هو دين ا لله ، وأمهاتهم مختلفات : « الأنبياء إخوة لعلاّت [٢] ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » [٣] .

وهذه النظرة القائمة على الاحترام للأديان السابقة تجعل الدين الإسلامي دين تقريب لا تفريق ، ودين توادّ لا تباغض ؛ الأمر الذي يجعل الإسلام هو الدين المهيّأ للتقريب بين صفوف جميع المؤمنين با لله من سائر الأديان وللوقوف معهم في وجه تيارات الإلحاد والمادية والظلم ، هذه التيارات التي تكتسح العالم اليوم ، والتي تشكل خطراً حاداً على المجتمع الإنساني كله . وهذه القدرة على التجميع لم تخف على الأذهان الواعية ، وقد لحظها كثير من أبناء الأديان الأخرى ونوّهوا بها ؛ من ذلك ما قاله الكاتب « دينكان كرينلس » : « إن نبل وتسامح هذه العقيدة التي تتقبل جميع الأديان الحقيقية في العالم بحسبانها منزلة من ا لله ، سوف يظلان على الدوام إرثاً مجيداً للجنس البشري يمكن أن يبنى عليه دين عالميّ » [٤] .

---

[١] صحيح البخاري (الجامع الصحيح) ـ كتاب المناقب ـ باب خاتم الأنبياء ٢٥/٥ .
[٢] العلاّت : الإخوة من أب واحد ومن أمهات مختلفات .
[٣] الجامع الصحيح (صحيح البخاري) كتاب الأنبياء ٣٢٧/٤ .
[٤] رسالة الإسلام : دينكان كرينلس ص٢٧ (٩٤٥ ـ دون مكان للطبع) نقلاً عن (موقف الإسلام من الأديان الأخرى) لكامل الباقر مدير جامعة أم درمان بالسودان بحث من أدبيات ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ص٦ .

إن جميع الأديان السماوية تدعو إلى الخير ، وتنهَى عن الشر ، وتحرص على سعادة الإنسان في دنياه وفي أخراه ، ولكنها جميعها غير متطابقة في كل ما تدعو إليه ، فهناك نقاط التقاء كثيرة ، وبخاصة في حانب التعامل وفي بعض حوانب العقيدة ، وهناك نقاط اختلاف عديدة في حانب العقائد . وإن أي بحث أو حوار يدور حول هذه الأديان جميعها ، أو حول دينين منها ، يجب أن يسوده الصدق والمنطق والإنصاف واحترام الآخرين في ما يعتقدون .

وفي هذا الإطار ، هناك مسلّمة مقبولة لدى كل منصف ، تقتضي بأن تمسُّكَ أي إنسان بمعتقداته والتزامه بأمور دينه لا يعني إطلاقاً افتئاتا على معتقدات أبناء دين آخر أو تجريحاً لها ، مهما كان حجم التباعد بين هذه المعتقدات . ولكنّ غير المقبول بالنسبة لأي من أبناء الدينين أن يلصق فريق منهم بمعتقدات الفريق الآخر ما ليس منها ظلماً أو جهلاً .

لقد أكدنا أن الإسلام يحترم جميع الأديان السماوية السابقة له ، ويحترم أنبياءها وكتبها ، ولكنه ، ومن خلال احترامه لهذه الأديان جميعها ، أفرد النصارى باعتبارات خاصة أقامت بينهم وبين المسلمين علاقات من الود متميّزة لم يحظّ بها غيرهم : ﴿ لتجدنّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا ، ولتجدَنّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ؛ ذلك بأن منهم قسّيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق / المائدة - ٨٢ وما بعدها ﴾ . وفي هذه الآيات وصف للنصارى بأنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، ثم يقترن الوصف بالتعليل الذي يوضح الدوافع التي أملت هذا القرب ، وفسّرت نزعة الخير لديهم ، وهي دوافع نابعة من سجايا يتحلّون بها ؛ منها تأثير علمائهم من القسيسين والرهبان الذين يعملون بما يؤمنون به ، ومنها تواضع فيهم لا كِبْر معه ، ومنها رقة في قلوبهم وعواطفهم . هذا وقد ذكر الله لهم صفات حميدة في مواقع أخرى من القرآن ، فنَعَتَهُمْ بالرأفة والرحمة ، وهما من ألطف وأنبل النعوت التي

يتحلى بها الإنسان : ﴿ وقفّينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة / الحديد ـ ٢٧ ﴾ .

ومن وحي هذه الآيات وأمثالها يتحدد للمسلم أسلوب التعامل مع النصارى ؛ هذا الأسلوب الذي لا يمكن إلا أن يكون كريماً ، عملاً بمنطوق هذه الآيات . بل إن الإسلام ـ إمعاناً منه في تكريم الإنسان بعامة ـ يكلف المسلم بحماية المشرك نفسه إذا استجار به ، وبتحمل مسؤولية سلامته ، حتى يبلغه مأمناً ، وذلك بصريح قوله تعالى : ﴿ وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه / التوبة ـ ٦ ﴾ . وزد على ذلك إن الله سبحانه يطلب منه أن يعامل المشركين ـ وهم أهل أوثان ـ إذا سالموا ولم يحاربوا في الدين ، المعاملة المقرونة بالبر والإحسان : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين / الممتحنة ـ ٨ ﴾ [1] . فإذا كان الله سبحانه لا ينهى المسلم عن بر المشرك ـ والبر كلمة جامعة لمعاني الخير وللتوسع فيه ـ كما لا ينهاه عن إقامة العدل معه مادام مسالماً ولم يحاربه في دينه ، فإن معاملة أتباع الأديان السماوية ، والنصارى في طليعتهم ، هي أحرى بهذه الرعاية الكريمة التي تحمل أجمل المعاني التي دعا إليها الإسلام : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى / النحل ـ ٩٠ ﴾

أما رسول الله ﷺ فقد كانت علاقته بالنصارى منذ طفولته وحتى مطلع بعثته ، ثم في إقامته في المدينة وحتى قبيل وفاته ، علاقة متميزة قائمة على التقدير المتبادل والاحترام .

وقصة رحلته إلى الشام مع عمه أبي طالب ، وهو طفل ، ورؤية الراهب بحيرا له ونصحه لعمه بالعودة به خوفاً عليه ، وتحذيره له من غدر اليهود ، كل ذلك كان يمثل أول احتكاك إيجابي مع النصارى وذلك قبل البعثة بسنوات طويلة [2] .

---

[1] هذه الآية نزلت في مشركي العرب ، وهم ليسوا أهل كتاب

[2] السيرة النبوية : ابن هشام ١/١٧٩ .

وحين صدع رسول الله ﷺ بأمر الله بإعلانه الدعوة إلى الإسلام ، وقف مشركو قريش منه موقف العداء ، وتربصوا الدوائر بإخوانه الذين استجابوا لدعوته وخُلّهم من المستضعفين ، وأوسعوهم اضطهاداً وأذى ؛ الأمر الذي دفعه إلى الإذن لهم بالهجرة ، عَبْرَ البحر بمخاطره ، إلى الحبشة المسيحية دون اليمن القريبة التي كانت حينذاك خاضعة للساسانيين الزرادشتيين ، وفي توجيههم إلى الحبشة المسيحية دلالة على المكانة العالية للنصارى في نفسه ﷺ ، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في وصيته إلى أصحابه قبيل السفر ، إذ قال لهم : « ... لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلَمُ عنده أحد ، وفي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه » [1] ، وقد أحسن الرجل استقبالهم ، وسمح لهم بالإقامة في دياره ، وكان أيضاً وكما قدر الرسول ﷺ ، الرجل المنصف الذي يرفض الظلم ويصدع بالحق ، فقد استقبل وفداً من مشركي قريش أرسلته لإقناعه برد المسلمين من دياره . واستمع إلى هذا الوفد كما استمع بعد ذلك إلى رأي المسلمين ، ثم ردّ وفد قريش خائباً ، واستمر على إكرام المسلمين اللاجئين في بلاده [2] ، وقد وصفت أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ، وكانت من بين المهاجرين إلى الحبشة ، معاملة النجاشي لهم ، فقالت : « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار : النجاشي . أمَّننا على ديننا ، وعبَدْنا الله تعالى ، لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه » [3] .

والأمر مع المقوقس النصراني ، حاكم مصر ، كان مشابهاً لما وقع مع النجاشي ملك الحبشة ، فقد كان المقوقس من الملوك الذين بعث رسول الله ﷺ إليهم برسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وحَمَلَ الرسالةَ إليه حاطب بن أبي بلتعة ، فلم يأخذ المقوقس استكبار ولا استهتار ، بل « قبّل الكتاب ، وأكرم حاطبا ، وأحسن نزله ، وسرحه إلى

---

[1] السيرة النبوية : ابن هشام ٣٤٣/١ .

[2] السيرة النبوية : ابن هشام ٣٥٦/١ .

[3] السيرة النبوية : ابن هشام ٣٥٧/١ .

النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين إحداهما أم إبراهيم » [1] ، وفي هذه المعاملة ما فيها من السماحة والنبل وكريم الصفات . أما ملكا أعظم دولتين في العالم حينذاك : الفرس والروم ، فإن ملك الفرس المجوسي مزّق كتاب رسول الله ﷺ . وقال رسول الله حين بلغه أنه شق كتابه : « مزّق ملكه » [2] . وأما ملك الروم المسيحي فإنه استأنى ، ثم سأل عمن في بلاده من العرب ، وكان هناك أبو سفيان ومعه رهط من قريش ، فاستدعاه معهم ، واستوثق في حديثه معه بجميع الاحتياطات التي لا تدع له فرصة للكذب ، ثم أخذ يسأله عن الرسول وصفاته ودعوته وأتباعه ، وأبو سفيان يجيبه صادقاً خشية من اهتزاز صورته أمام جماعته ، حتى إذا أنهى ملك الروم مساءلته التفت إليه وإلى من حوله ، وزجرهم ، وأشار إلى أن ما ذكروه من صفات سألهم عنها هي من صفات الأنبياء [3] .

وفي هذا السياق يجب ألاّ يغيب عن البال موقف الإسلام من صراع الروم ، وهم من أهل الكتاب ، مع الفرس وهم من عبدة النار ، وذلك حين أشار القرآن إلى انتصار الفرس على الروم ، ثم اشار بعد ذلك إشارة من علم الغيب تؤكد أن الروم سينتصرون ، وفي بعض سنين ، وقرر أن انتصارهم ، وهم أهل كتاب ، سيكون مثار فرح لدى المؤمنين . وقد تحقق ذلك في الأجل الذي تحدد ، وسميت السورة التي اشتملت في مطلعها على هذه الآيات باسم (سورة الروم) : ﴿ غُلبَت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غَلَبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعدَ الله ، لا يُخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون / الروم ـ٢ـ٥ ﴾ .

---

[1] البداية والنهاية : ابن كثير ٤/٢٧٢ .

[2] سيرة ابن هشام ٢/٦٥٤ .

[3] البداية والنهاية ٤/٢٦٤ .

هـذا ، وتجـدر الإشـارة إلى الزيـارة الـتي قـام بهـا وفـد يمـني مـن نصـارى نجـران إلى الرسول ﷺ في المدينة ، وكان الوفد مكوّناً من ستين راكباً فيهم أربعة عشـر رجـلاً مـن أشـرافهم ، وقـد أحسـن الرسـول ﷺ اسـتقبالهم وأحـاطهم بـالتكريم والتقدير ، وحـين حرصوا على أداء صلاتهم طلب منهـم الرسـول أن يصلوهـا في مسـجده ، فصلّوهـا إلى المشرق ، وجرت بينه وبينهم حوارات ومناقشات انتهت بعقـد معـاهدة تعزز علاقـات الود بينهم وبين المسلمين [1] .

هذه النماذج الحيّـة الـتي تمثـل نظـرة الإسـلام إلى المسـيحية عـبر نمـاذج مـن الآيـات القرآنية ، ونماذج من المواقف الإسلامية والنصرانية معاً في حيـاة الرسـول ﷺ تكملهـا ، وتعززها نماذج تالية من آراء علماء المسلمين في الموضوع نفسه ، فإن العالم والمفسر ابـن جُزَيّ الكلبي [2] يؤكـد أن علاقـة قـرب المـودة المقـررة في آيـات سـابقة ليسـت علاقـة عابرة ، بل هي علاقة خالدة على الدهـر ، وكـلام الله سـبحانه عنهـا في تلـك الآيـات فيـه : « إخبـار أن النصـارى أقـرب إلى مـودة المسـلمين . وهـذا الأمـر بـاقٍ إلى آخـر الدهر » [3] .

كما أن الزمخشري [4] في تفسيره وفي تعليقه على هذه الآيات يشـيد بـأمر النصـارى وبالأوصاف التي نعتهم بها القـرآن ، ويقـول عـن ذلـك : « ... وعلـل سـهولة مـأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أي علماء وعُبّاداً ، وأنهـم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم .. ووصفهم القرآن برقة القلوب » [5] .

---

[1] البداية والنهاية ٥/٥٩ .

[2] ابن جزيّ : محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي الأندلسي . عالم له تفسير وعدة مؤلفات . توفي سنة ٧٤١هـ ـ ١٣٤٠م .

[3] تفسير « التسهيل لعلوم التنزيل » : ابن جزي ص١٦١ .

[4] الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ، عالم إسلامي كبير ومفسّر له مؤلفـات عديـدة توفي عام ٥٣٨هـ ـ ١١٤٤م .

[5] تفسير « الكشاف » : الزمخشري ١/٣٥٩ .

أما المفسر الأندلسي ابن عطيّة [1] ، فإنه يذكر النصارى ، في صدد تفسيره لهذه الآيات بإعجاب ، وينعتهم بنعوت فيها الكثير من الإنصاف والإكبار والتقدير ، وذلك حين يقول : « والنصارى أهل كتاب .. ويعظّمون من أهل الإسلام من استشعروا منهم صحة دين ، ويستهينون من فهموا منه الفسق ، وهم إذا حاربوا ، فإنما حربهم أَنَفَة وكسب ، لا أن شرعهم يأخذهم بذلك ، وإذا سالموا فسلمهم صافٍ ، ويعين على هذا ، أنهم أمةٌ شريفةُ الخلق ، ولهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكر عَمروُ بن العاص في صحيح مسلم » [2] .

أما عمرو بن العاص وهو الصحابي الذي أشار ابن عطية إلى الخلال التي سجلها للنصارى فإنه ، بحكم أسفاره وتجاراته قبل الإسلام وبعده في مصر والشام ، ثم بحكم عمله الرسمي في مصر بعد ذلك ، كان على احتكاك بالنصارى في هذه البلاد ، وكان بالتالي على معرفة تامة بأخلاقهم وسجاياهم ؛ الأمر الذي يسمح له باستشفاف الوصف الصادق لهم . وهذه الصفات الأربع التي ذكرها ابن عطيّة في تفسيره وردت في صحيح مسلم كالتالي : « قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) ، فقال له عمرو : (أبصِرْ ما تقول !) قال : (أقول ما سمعت عن رسول الله ﷺ) قال : (لئن قلت ذلك : إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأَحكَمُ الناس عند فتنة ، وأسرعُهم إفاقةً بعد مصيبة ، وأوشكُهم كرَّةً بعد فرة ، وخيرُهم لمسكين ويتيم وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظلم الملوك » [3] .

---

[1] ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي مفسر وفقيه توفي عام ٥٤٢هـ - ١١٤٨م .

[2] تفسير « المحرر الوجيز » : ابن عطية ٣/٥ .

[3] صحيح مسلم (الجامع الصحيح) : كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب تقدم الساعة والروم أكثر الناس ١٧٦/٨ .

وفي التعليق على ما جاء من آراء بعض العلماء المسلمين في النصارى والنصرانية في تفسيرهم لآيات المودة ، قد يكون مناسباً أن نؤكد أن علماءنا يفرقون دائماً بين تعاليم الدين والتصرفات والمواقف التي تخالف تلك التعاليم والتي يرتكبها بعض الناس ، فإن جنوح بعض المسلمين إلى مواقف تناقض ما جاء به الإسلام نحو النصارى ، وجنوح بعض النصارى إلى تصرفات تناقض ما نَعَتَهُمْ به الإسلام من صفات حميدة ، كل ذلك لا يغيّر الحقيقة التي قررها الإسلام في وصف النصارى ، ولا يجرح ما يجب أن نلتزم به تجاههم دائماً امتثالاً لتعاليم ديننا ، يؤكد ذلك ان المفسرين الذين أوردنا آراءهم في النصارى كان اثنان منهم مُعاصرَيْن للحروب الصليبية ، وكانت حياة الآخر بعدها بفترة غير قصيرة [1] ، ولكنهم تجاوزوها ولم يعلقوا عليها في حديثهم عن النصارى ؛ الأمر الذي يحملنا على تقدير أنهم إنما تجاهلوا ذلك باعتبارها صادرة عن الناس ، والناس قد يرتكبون الغلط ، وقد يعتريهم الظلم ، لا باعتبارها نابعة من حقيقة دينهم ، وما أدق وأجمل ما كتبه المفكر الإسلامي المعاصر محمد حميد الله [2] ، حين تحدث عن هذه القضايا فقال : « لا شعار في المسيحية يفضل الشعار الوارد في إنجيل القديس لوقا (الفصل السادس /٢٧) الذي يقول : « أحبوا أعداءكم » ، وإذا كان هذا الشعار يأمر بمحبة العدو ، فكيف يكون الحال إذا تعلق بصديق طيب وحليف صادق ؟ إن المسيحي الصميمي الحق لا يمكن أن يكون شريراً أو عاقاً أو ناكراً للجميل ، كما لا يمكن أن يكوْن ظالماً أو جائراً ، حتى ولو اندفع في بعض الأحيان ، وبصورة عَرَضية ، إلى تصرفات جائرة يمكن أن تصدر عن أي إنسان نتيجة انفعالات محتدمة في ظروف

---

[1] الزمخشري وابن عطية عاصرا الحروب الصليبية ، فقد كانت وفاة أولهما ٥٣٨هـ - ١١٤٤م ، وكانت وفاة الآخر ٥٤٢هـ - ١١٤٨م - أما ابن جزي فقد كانت وفاته ٧٤١هـ - ١٣٤٠م . أما الحروب الصليبية فقد وقعت ما بين ١٠٩٥م و ١٢٧٢م .

[2] محمد حميد الله : كاتب إسلامي كبير من الهند يعيش في باريس ، وله دراسات إسلامية جادة وله أيضاً كتابات منصفة في مقارنة الأديان .

خاصة ، أو نتيجة جهل بحقيقة ظلت خافية عليه لفترة مؤقتة . ولكن حين يزول سوء الفهم ، فإن المسيحي المؤمن الممارس لشعائر دينه لا يستطيع إلا أن يعترف بخطأ الماضي والحاجة إلى المحبة في المستقبل . ومن نفل القول أن الأمناء على مثل هذه المثل العليا لا يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم أبداً بوزنين ومقياسيْن حيال أعدائهم المحبوبين .. كما لا بد من تذكير المسيحيين بأن الإسلام اعترف بأن الإنجيل والمسيحية يستندان على الوحي الإلهي ، وأن يسوع المسيح نبيٌّ مرسل من الله ، وكلمة الله وروح الله . إن الإسلام ليس غريباً عنهم أبداً ، وبعيد جداً أن يكون عدواً لهم [1] .

إن علماء المسلمين ، القدماء منهم والمحدثين ، كانوا ينظرون إلى المسيحية والمسيحيين نظرة إنصاف ، ويستشعرون الروح الإنسانية الداعية إلى الخيرات والمبرّات في التعاليم المنزلة عليهم ، لإنقاذ المجتمعات الإنسانية من بيئات الفساد التي كانت تسودها ، والتي كانت تستشري بتصرفات اليهود ، والرومان الحاكمين في آن واحد . يقول الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي واصفاً حالة المجتمعات آنذاك : « أُرسل المسيح عليه السلام في بيئة مادية جشعة ، هي بيئة اليهود الذين تركوا شرائع الله التي أوصاهم بها أنبياؤهم ، فقد بلغوا في عهد المسيح منتهى الحرص على جمع المال والافتنان في اكتنازه ، وكان أغنياؤهم على أكبر جانب من القسوة وموت الضمير ، ورجال دينهم لا يألون جهداً في تحريف أحكام الشريعة ، والولاة الرومان جعلوا من المجتمع طبقتين متميزتين : طبقة (الأغنياء والأشراف) الذين استأثروا بالطيبات والأموال ورغد العيش ، وطبقة (الفقراء) الذين حرموا من الكرامة وأبسط حقوق الإنسانية ، وأصبحوا يئنون من وطأة المرابين المستغلين ، وكان جمهورهم معرضين عن الحق يرتكبون كل المنكرات الخلقية والجنسية » [2] .

---

[1] (نقاط سوء فهم حيال نبي الإسلام لدى المسيحيين) لمحمد حميد الله من أدبيات المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي المنعقد في قرطبة (آذار ـ مارس ١٩٧٧) .

[2] اشتراكية الإسلام : د. مصطفى السباعي ص٣٩ .

بل جاءت تعاليم المسيحية ، سواء ما جاء منها في الأناجيل أم في رسائل الرسل ، تعزف على الوتر نفسه ، فتستنكر ما كانت عليه تلك المجتمعات من فساد ، وتدعو إلى القيم التي تعيد للإنسان فطرته وصفاءه ، وفي رسالة القديس بولص إلى أهل رومية وصف لما كان عليه مجتمع اليهود حينذاك ، من تنكّرٍ لتعاليم الله ، ومن ضياع للقيم ، ومن استشراء للفساد : « إنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه ، ولم يشكروه كإلّه ، بل سفهوا في أفكارهم ، وأظلمت قلوبهم الغبية ، وقد زعموا أنهم حكماء فصاروا حمقى ، واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة إنسان ذي فساد ، وطيور وذوات أربع وزحافات ، فلذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لفضيحة أجسادهم في ذواتهم الذين أبدلوا حق الله بالباطل ، واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك مدى الدهور ، آمين . لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الفضيحة ، فإن إناثهم غيَّرْنَ الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكران أيضاً ، تركوا استعمال الأنثى الطبيعي والتهبوا بعشق بعضهم بعضاً ، ففعل الذكران بالذكران الفاحشة ، ونالوا في نفوسهم الجزاء اللائق بضلالهم ، وبما أنهم لم يؤثروا أن يستمروا على معرفة الله أسلمهم الله إلى رأي مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ، ممتلئين من كل إثمٍ وشرٍّ وزناً وبخل وخبث ، مفعمين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وإساءة ، نمّامين مغتابين ، محتَقرَين من الله ، شتامين متكبرين مفتخرين مخترعين شروراً ، عاقّين للوالدين ، لا فهم لديهم ولا نظام ولا عهد ولا رحمة » [1] .

والشر لا يصدر عنه إلا كل شر ، والخير حاشا أن ينبع من قلب مَلأه الشر ، إنه لا ينبع إلا من قلب صالح ، وما أجمل ما ورد في إنجيل متى حول هذا المعنى الكريم ، والخطاب فيه مُوَجَّهٌ لليهود أيضاً : « يا أولاد الأفاعي ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، وإنما يتكلم الفم من فضل ما في القلب . الرجل الصالح من

---

[1] رسالة القديس بولص إلى أهل رومية ١/٢١-٣١ .

كنزه يُخرج الصالحات ، والرجل الشرير من كنزه يخرج الشرور » [1] ، وفي مقابل ذلك انظر في الأناجيل إلى الإشادة بالفضائل والحض على القيم السامية ، وإلى التعالي عن الصغائر وسفاسف الأمور ، وإلى الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وهي قيم تلتقي كاملة مع القيم التي دعا إليها الإسلام . ولنستمع منها ، وعلى سبيل المثال ، إلى نبذة محدودة ، لها كثير من أمثالها في صفحات الأناجيل ، ودونما حاجة إلى أي تعليق ، لأن مضمون كل منها يحمل في طياته أجمل التعليقات : « حياة الإنسان بالإيمان وبالفضائل لا بالطعام والشراب فحسب » [2] ، و « طوبى للرحماء ، فإنهم يرحمون » [3] ، و « خبزَنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا » [4] ، و « فإنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » [5] ، و « ... قد عرفت الوصايا : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد الزور ، لا تخن ، أكرم أباك وأمك » [6] ، و « لكن أقول لكم أيها السامعون أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم » [7] .

وناهيك بخطبة الجبل وما فيها من قيم تحضّ على الخير وشمائل ترقق قلوب المؤمنين ، ناهيك بها نموذجاً رفيعاً لتوجيه الإنسان إلى الخيرات والمبرات ، والتوجه إلى الله في كل عمل .

وفي جو المصارحة التي يدعو إليها كل منصف ، وكل طالبٍ للحق يكون من الواجب إنارة جميع الزوايا التي يحتمل أن يكتنفها غموض أو فهم مغلوط ، أو جهل

---

(1) انجيل متى ١/٣٢-٣٥ .

(2) انجيل متى ٢٥/٢٤ وما بعد .

(3) انجيل متى ٥/٦ .

(4) انجيل متى ٦/١١ .

(5) انجيل مرقس ٦/٣٦ .

(6) انجيل مرقس ١٠/١٩ .

(7) انجيل لوقا ٦/٢٧ وما بعد .

بمناسبتها أو دلالتها ؛ الأمر الذي يقتضي وضع النقاط على الحروف في مثل هذه القضايا لإجلاء المعاني المقصودة منها ، دفعاً لأيّ التباس قد يترتب على ذلك . ومن هذه الأمور قضية يثيرها بعض جهلة المسلمين ، يزعمون فيها أن نصارى اليوم في عقائدهم هم غير النصارى الذين ورد ذكرهم في القرآن ، والذين أشاد بسجايا كريمة لديهم ، ذلك لأن نصارى اليوم يعتقدون أن المسيح هو ابن الله ! إن هذا التصور من بعض المسلمين مبنيٌّ على الجهل ، ويقوم على غير أساس ، لأن نصارى اليوم في عقائدهم هم النصارى أنفسهم أيام الرسول ﷺ ، ومقولتهم في السيد المسيح هي هي ، والتي أشار إليها القرآن الكريم بصراحة في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهَين من دون الله ؟ . قال : سبحانك . ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . إن كنتُ قلتُه فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . إنك أنت علاّم الغيوب / المائدة - ١١٦ ﴾ .

وبالتالي ، فإن الزعم بتغيُّر نصارى اليوم عن نصارى الأمس أيام الرسول ﷺ هو أمر مردود على قائليه ، وليس له سند من الواقع أو التاريخ . وبالتالي يجب أن يستمّر التعامل معهم على أحسن صوره ، وكما ورد في النصوص التي سلف ورودها .

ومن هذه القضايا التي يكتنفها اللبس أيضاً جزء من آية مقطوع عن سياقه ، وهو ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ ، ويظن بعض المسلمين جهلاً أن الخطاب في هذا الجزء موجّه إليهم ، وحقيقة الأمر أنه قول لبعض اليهود وجهوه لبعض آخر منهم ، وقد ورد هذا الجزء في آية يوضح سياق معانيها وأسباب نزولها على ذلك ، والآية بتمامها هي : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ، لعلهم يَرْجِعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم / آل عمران -٧٢-٧٣ ﴾ . أما سبب نزول هذه الآية فقد ورد في المصادر على الشكل التالي : « تواطأ اثنا عشر حَبْراً من أحبار خيبر ، وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد ، واكفروا به في آخر النهار ، وقولوا : إنا نظرنا في

كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك ، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم ، وقالوا : إنهم أهل كتاب ، وهم أعلم به منا ، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم . فأنزل الله هذه الآية وأخبر به نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين » [1]

ويتوضح من سرد هذا الجزء من سياق الآية نفسها ، ومن معرفة سبب نزولها أن المقولة كانت لليهود ، ولا علاقة لها بالمسلمين .

وهناك آيات يوحي ظاهرها بمواقف مضادة لأهل الكتاب ، وبأبسط جهد من التمحيص ، ومن متابعة أسباب نزولها ، يدرك الإنسان أنها قيلت في مناسبات خاصة ، ووجهت إلى فئات محددة كانت لها مواقف سلبية مع المسلمين ، فهي محكومة بظروفها وبالناس الذين قيلت فيهم ، من ذلك ما جاء في الآية التالية : ﴿ ولتسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور / آل عمران ـ ١٨٦ ﴾ . وقصة ورودها كما جاءت في المصادر أن الرسول ﷺ مرّ على مجلس في المدينة فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود . وفيهم عبد الله بن أُبيّ قبل إسلامه ، فدعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام ، فنهره عبد الله بن أبيّ وكاد المسلمون يقتتلون مع المشركين واليهود فهدأهم الرسول ﷺ ، ونزلت الآية في صدد هذه الحادثة .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في الآية التالية : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولّهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين / المائدة ـ ٥١ ﴾ .

---

[1] أسباب نزول القرآن ص١٠٤ .

والمدقق في معنى الموالاة والتولّي بعامة ، ومن خلال سياق الآية بخاصة ، يدرك أنها تقتضي التبعية التي تسلخ المرء عن جماعته ، وهو أمر مرفوض في جميع الأعراف والمعاملات وأنماط التعايش وتجعله منقطعاً انقطاعاً كاملاً في نصرة المُتّبع [1] .

ويحسن أن نستمع إلى رأي عالم إسلامي كبير ، هو الدكتور يوسف القرضاوي ، في تعليقه على هذه الآية وأمثالها حين يقول : « ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر ، أو يتردد على بعض الألسنة ، وهو : كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين ، والقرآن نفسه ينهى عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .. ﴾ . إن هذه الآيات ليست على إطلاقها ولا تشمل كل يهودي أو نصراني أو كافر ، ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوصَ الأخرى التي شرعَت موادّة أهل الخير والمعروف من أي دين كانوا ، والتي أباحت مصاهرة أهل الكتاب واتخاذ زوجة كتابية ، مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة / الروم ـ ٢١ ﴾ . وقال تعالى في النصارى : ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا : إنا نصارى ﴾ . إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام محاربين للمسلمين ، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم ، وهو معنى الموالاة ، واتخاذهم بطانة يفضى إليهم بالأسرار وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملّته ، وقد وَضَّحت ذلك آيات أخرى كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودّوا ما عنتّم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون .. / آل عمران ـ ١١٨-١١٩ ﴾ » [2] .

ومن القضايا التي تثير شيئاً من الجدل لدى بعض المسلمين ولدى بعض النصارى سؤال يتردد على الألسنة مفاده : كيف نصف من لم يؤمن بديننا ؟ وهل هو كافر ؟

---

[1] انظر « الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية » ١٣/١ .

[2] الحلال والحرام في الإسلام ص٣٢٩ وانظر « غير المسلمين في المجتمع الإسلامي » ص٦٥ وما بعد .

وقد يتحرج كثيرون من أبناء الدينين من بعضهم من إعطاء جواب صريح ، والجواب الصريح ، والصحيح ، والذي لا حرج معه هو أن من لا يؤمن بدين ما يعتبر كافراً بالنسبة لذلك الدين ، فالكفر في اللغة وفي الاصطلاح هو نقيض الإيمان ، ومن كان مؤمناً بدين ما وغير مؤمن بدين آخر ، فهو كافر بالنسبة للدين الآخر ، وعليه فإن المسلم بالنسبة للنصراني واليهودي كافر ، والأمر نفسه يكون للنصراني بالنسبة للمسلم واليهودي ، ومثله يكون لليهودي بالنسبة للمسلم والنصراني ، وبالتالي فإنه لا حرج من وصف المسلمين لدى النصارى بالكفار ، وكذلك لا حرج أيضاً من وصف النصارى لدى المسلمين بالكفار ، لأن ما يقدره الدين ويلتزم به أنصاره يدفع عنهم أي حرج تجاه الآخرين . وفي مثل هذه الموضوعات لا تجوز المجاملات . وكان الداعية الدكتور يوسف القرضاوي صادقاً وصريحاً حين قال : « إن كل دين له مقوماته الجوهرية ، وخصائصه الذاتية ، فلا يجوز إغفال هذه المقومات والخصائص من أجل مجاملات سطحية ، وكسب معارك وهمية » [1] .

ومن هذا العرض الموجز والسريع لنظرة الإسلام إلى النصرانية وإلى النصارى يتبين بشكل جازم لا مجال فيه لأي لبس أو تردد أن المسلمين مأمورون دينياً بالتعامل الحسن مع الناس بعامة ومع النصارى منهم بشكل خاص ، وهذا التعامل الحسن لا يصدر عن المسلمين من باب التسامح أو المصالح أو جرّ المنافع ، بل هو حقّ واجب الاحترام والتنفيذ . والحق ، في منطق الإسلام ، لا يجري معه تسامح ، بل لابدّ من الصَدْع به وتنفيذه .

[1] غير المسلمين في المجتمع الإسلامي : ص٨١ .

مريم وعيسى عليهما السلام

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون / آل عمران ـ ٥٩﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿ إنّما المسيحُ عيسى بنُ مريم رسولُ اللهِ وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه .. / النساء ـ ١٧١ ﴾ . وهاتان الآيتان من القرآن الكريم تستوقفان الإنسان ، لكي يتفكر ويتدبر ، لأنهما تتصلان بخلق عيسى عليه السلام وولادته من امرأة بكر بتول دون أن تمسها يد بشر . وهذا لا يحدث في عالم الأسباب الذي يعيشه الناس في الدنيا ، وهو أمر شديد الغرابة . هذا ما استنتجته المسيحية ، وهذا ما أكده الإسلام بعد ذلك .

إن الأمور لو سارت طبيعية في فهم الناس لبعضهم ، وفي إنصافهم وإعطاء كل ذي حق حقه ، لكان النصارى في العالم أشد الناس اتصالاً وصداقة بالمسلمين ، ولكانت المسيحية مغتبطة بما أثبته القرآن الكريم حول عيسى عليه السلام وأمه وولادته ومعجزاته . إن الإسلام هو الدين الوحيد في العالم الذي يدعم النصارى ويؤكد معهم باعتقاد حازم ، ويقول لهم : الحق معكم ، وإن سيدنا المسيح لم يكن له أب . إنّ وصف القرآن لعيسى عليه السلام بأنه « كلمة الله » تأكيد على أنه خلق بتقدير من الله بكلمة « كن » ، وذلك على غير سنن التوالد الناجم عن لقاء زوجين ، وإذا كان ذلك عجيباً في عالم الأسباب ، فإن خلقاً سابقاً له أشد عجباً منه ، ذلك هو خلق آدم بكلمة « كن » أيضاً ، ولكن بدون أب أو أم .

إن كثيراً من المطلعين على حقائق الإسلام من رجال النصارى ومن علمائهم ، لا يجدون حرجاً من الإعلان عن اغتباطهم بما ورد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف عن النصرانية والنصارى بعامة ، وعن عيسى ومريم عليهما السلام بخاصة ، بل كانوا منصفين حين أعلنوا عن مشاعرهم تجاه هذه المواقف ، وقد يكون من باب إحقاق الحق

وإنصاف أصحابه ، ومن منطلق التقدير لأمثال هؤلاء الرجال من الموضوعيين الشجعان أن نذكر نماذج من مواقفهم وأقوالهم ، وهي كثيرة ، وعرضُ بعضها يُغني في دلالته الصادقة عن الإفاضة من ذكرها كلها ، ومن ذلك ما أعلنه الكاردينال أنريكي ترانكون في المؤتمر المشار إليه سابقاً حين قال : « يسعدني كذلك أن أبرز الثناء الحار الذي يُخَصّ به المسيح في بعض الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، ولا ريب أن هذا يسرنا نحن المسيحيين سروراً عميقاً ، ويزيد التقارب بيننا وبين محمد وإخواننا المسلمين .. وعلينا نحن المسيحيين أن نعترف بالانشراح الذي نشعر به إزاء المكانة التي يحتلها في الإسلام عيسى ومريم والدين المسيحي . إن الإسلام يُجِلّ عيسى كثيراً ، بالإجماع وبدون تحفظ ، وإنه لمن العدل أن نعترف بذلك ، فالإسلام هو ـ بلا ريب ـ الدين غير المسيحي الذي يعظم المسيح تعظيماً كبيراً » [(١)] .

ومثال آخر على هذا التقدير المسيحي للمواقف الإسلامية الصلبة في الدفاع عن السيد المسيح وعن طهر أمه مريم ، جاء على لسان الأب موريس بورمانز ، في بحث قدمه إلى المؤتمر العالمي الإسلامي المسيحي الثاني بمدريد [(٢)] ، قال فيه : « ليس في مقدور المسيحي إلا أن يفرح فرحاً عظيماً إذا ما تثبت بالمكانة الفائقة التي خُصّ بها المسيح في مجمل القرآن : خمس عشرة سورة واثنتان وخمسون آية .. ويُذكر المسيح بعدة أوصاف ، فها هو يسمى نبيّاً (مريم /٣) ، ورسول الله (النساء /١٥٧ والمائدة /٧) ، ومن الصالحين (آل عمران /٤٦ والأنعام /٨٥) ، وأنعم الله عليه (المائدة /١١٠) ، فجاء وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقرّبين (آل عمران /١٤٥) ، وزكيّا (مريم /١٩) » .

كما يشيد الأب بورمانز نفسه بتأكيد الإسلام طهر السيدة مريم وبراءتها من افتراءات اليهود حولها ، فيقول [(٣)] : « فبُشرت مريم مرتين بالحمل وبميلاده في عبارات

---

(١) عيسى ومحمد في المسيحية والإسلام : بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني ص٥ .

(٢) مواقف المسيحيين تجاه التصوّر الإسلامي ليسوع المسيح : ص٣ بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني .

(٣) مواقف المسيحيين تجاه التصوّر الإسلامي ليسوع المسيح ص٣ .

أشد ما تكون قريبة من عبارات الإنجيل نفسه (مريم /١٦-٤٥) ، وقد تحقق ذلك بعمل خارق للعادة ، قام به الرحمن الخالق . أليس عيسى بكلمة منه (آل عمران /٤٥) ، إنه كلمته التي ألقاها إلى مريم (النساء /١٧١) ، إذ يردد القرآن : فنفخنا فيه من روحنا (الأنبياء /٩١ ، والتحريم /١٢) . فما أبعدنا هاهنا ، كما قال ميشال حايك [1] عن الأقاصيص المحفة التي ما زال اليهود منذ ألفي سنة يتداولونها في كتابهم (توليدات يشوع) ، فيهينون فيها ذكر الابن ، ويتهمون أمه بالشيء الفريّ ، قائلين إنها بغيّ ، فاحتج محمد أولاً والمسلمون بعده ، وأكثروا من الاحتجاجات ضد هذا البهتان العظيم » .

إنّ الحديث عن السيدة مريم لم تُفِض فيه المصادر المسيحية كما أفاضت فيه المصادر الإسلامية قرآناً وسنّة . وقصة حملها وولادتها في القرآن تضم تفصيلاً لجميع المراحل الزمنية والواقعية لهذا الحدث العظيم ، ورواية المسلمين لها تثير في نفوسهم كل مشاعر البهجة والاغتباط .

لقد بدأت قصة مريم في القرآن من قبل أن تخلق مريم نفسها ، وذلك عبر الحديث عن أمها حنّة زوجة عمران ، وكانت من العابدات الصالحات ، وكانت قد أسنّت ، واشتهت الولد ، ونذرت لله إن حملت لتجعلّن ولدها محرراً ـ أي حبيساً ـ في خدمة بيت المقدس [2] ، وجاءت رواية هذا النذر في القرآن : ﴿ إذ قالت امرأة عمران : ربّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم / آل عمران ـ ٣٥ ﴾ .

وتساوقت الآيات في عدد من المواضع في القرآن الكريم تتابع الحدث خطوة خطوة . لقد وضعت أم مريم ، ولكن المولود جاء على غير ما نذرت . لم يكن المولود ذكراً كما كانت تتمنى ، بل كان أنثى ، وسلمت المرأة الصالحة أمرها إلى الله ، وسمّتها

---

(١) المسيح في الإسلام : ميشال حايك وردت في الصفحة ٢٨٤ من بحث الأب بورمانز .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٥٦/٢ .

مريم وحصّنتها بإعاذتها با لله من الشيطان الرجيم : ﴿ فلما وضعتها ، قالت : رب إني وضعتها أنثى ـ وا لله أعلم بما وَضَعَتْ ـ وليس الذكر كالأنثى ، وإني سميتها مريم ، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم / آل عمران ـ ٣٦ ﴾ .

وأحسن الرب الكريم قبولها وأحسن إنشاءها ، وكفّلها زكريا ليرعاها ، وخصّها بكرامات لم تكن مألوفة عند الناس : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسناً ، وكفّلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . قال : يا مريمُ أنّى لك هذا ؟ قالت : هو من عند ا لله . إن ا لله يرزق من يشاء بغير حساب / آل عمران ـ ٣٧ ﴾ .

وزادها ا لله سبحانه كرامة ، وأغدق عليها صفات الطهر والتعبد ، وفضّلها على نساء العالمين ، وأبلغها بذلك عن طريق الملائكة تهيئة لنفسها للحدث العظيم المرتقب : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم . إن ا لله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين / آل عمران ـ ٤٢ـ٤٣ ﴾ . واستجابت مريم لأمر ربها ، وابتعدت عن الناس ، وخَلَتْ بنفسها للعبادة : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجابا .. / مريم ـ ١٦ ﴾ .

ولكن هذه الخلوة التي اختَلَتْها للتعبد اهتزت حين فوجئت بمن يقتحمها عليها ، وكان هذا المقتحم هو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، الذي تمثل أمامها بصورة البشر : ﴿ .. فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا / مريم ـ ١٦ ﴾ . ولنتصوّرْ نحن الآن حالة الروع النفسية التي اعترت مريم حين رأت ـ وهي منفردة عن الناس في مكان قصي ـ بشراً ينتصب أمامها ، ولكنها تجلدت ، وتجرأت ، ودار بينهما الحوار الطريف التالي : ﴿ قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت : أنّى يكون لي غلام ولم يمسسْني بشر ولم أَكُ بغيّا . قال : كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ، ولِنجعلَه آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا

/ مريم - ١٨-٢١ ﴾ . وجاءتها الملائكة بعد جبريل لتحدثها بتفصيل عن هذا الولد وصفاته وعمّا سيكون له من شأن : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلا ، ومن الصالحين / آل عمران - ٤٥-٤٦ ﴾ ، وناجت مريم ربها ضارعة إليه ، مكررة عذريتها ، مستغربة ما تُبَشَّر به من الولد : ﴿ قالت : رب أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر .. / آل عمران - ٤٧ ﴾ ، وجاءها الجواب الحاسم : ﴿ قال : كذلك يخلق الله ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون / آل عمران - ٤٧ ﴾ .

لقد نال مريم من الذعر ما ينال كل بكر طاهرة بتول حين ينسب إليها حمل ووضع ، ولكنها صبرت لأمر الله ثم .... ثم أحست بالحمل وشعرت بالحرج وازدادت بعداً عن الناس : ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا / مريم - ٢٢ ﴾ وبعد الحمل مخاض ، لجأت معه إلى جذع نخلة تستند إليها ، وتناجي نفسها متمنية الموت على الفضيحة المحتملة : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة . قالت : يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نَسْيا منسيا / مريم - ٢٣ ﴾ .

ولكن رحمة ربها لم تتركها في هذا القلق ، وجاءها صوتٌ يطمئنها ، صوت جبريل أو صوت الوليد - على اختلاف لدى المفسرين - يطلب منها أن تدع الحزن جانباً ، وأن أمرَ معاشها مؤمّن من خلال جدول ماء بقربها ورطب جنيّ تساقطه عليها النخلة التي لجأت إليها : ﴿ فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزّي إليك بجذع النخلة تُساقِط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقَرّي عينا / مريم - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ ﴾ .

وجاءها التوجيه بالاستعداد للرد على هجوم الناس إذا رأوها وطفلها ، وذلك بأن تمتنع عن الكلام معهم : ﴿ .. فإما تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا / مريم - ٢٦ ﴾ .

وحدثَتْ المواجهة ، وابتدأ الهجوم ، ورُوّعت بأقسى اتهام : ﴿ فأتت به قومها تحمله . قالوا : يا مريم لقد جئت شيئاً فرِيّا ، يا أختَ هارون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أمك بغيا / مريم - ٢٧-٢٨ ﴾ .

وكان جوابَها الإشارةُ إلى الطفلِ المعجزةِ النبي كلمةِ الله ورسولِه ، الذي ابتدر جوابهم عن أمه ، فقال يعرفهم بنفسه : ﴿ قال : إني عَبدُ الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبَرّاً بوالدتي و لم يجعلني جباراً شقيّاً ، والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا / مريم - ٣٠ - ٣٣ ﴾ ، إنه عيسى : ﴿ ذلك عيسى بن مريم قولَ الحق الذي فيه يمترون / مريم - ٣٤ ﴾ .

وكفى بمريم فخراً لدى المسلمين ولدى النصارى - على السواء - وعدا أنها أم لنبي عظيم - ذلك الإجلال الذي كرمها الله ورسوله به ، فحيثما ذكرت في القرآن ذكرت موصوفة بالطهر والعفاف : ﴿ ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها / التحريم - ١٢ ﴾ . وهي صديّقة ﴿ .. وأمه صديّقة / المائدة - ٧٥ ﴾ . وقد كذّب الله اليهود أبلغ تكذيب حين افتروا عليها وعلى عفتها بالبهت والكذب ﴿ .. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما / النساء - ١٥٦ ﴾ .

وسجل لها رسول الله ﷺ مكانة لا تُدانَى حين نعتها بأنها من خير نساء الدنيا : « خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة » [1] . وحين قال عنها : « لم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون » [2] . وحين قال أيضاً : « ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان غير مريم ، وابنها » [3] ، ويتلو أبو هريرة راوي هذا الحديث الآية الكريمة على لسان أم مريم ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم / آل عمران - ٣٦ ﴾ [4] .

---

[1] صحيح البخاري ٣١٨/٤ (كتاب الأنبياء) .

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[3] صحيح البخاري ٣١٧/٤ (كتاب الأنبياء) وصحيح مسلم - كتاب الفضائل ٩٦/٧ .

[4] المصدران نفسهما والصفحتان نفسهما .

ولعلّ من طريف العادات عند مسلمي مدينة حلب بالذات ، أن يقدّموا لكل نُفَساء صبيحة ولادتها هديةً تتمثل في سفرة عامرة بالطعام - وبالحلوى منها بشكل خاص - ويسمونها « سفرة مريم » . وتعليلها لديهم أن السيدة مريم حين وضعت طفلها كانت وحيدة ، وحزينة ولم يفرح لها أحد بالمولود ، فهم يعوّضونها ، وبعد آلاف السنين ، عما فقدته من البر ، وكأنهم يشاركونها فرحتها بمولودها العظيم .

أما عيسى عليه السلام ، فهو نبيّ الله ورسوله ، وقد أشاد الإسلام بذكره وبسيرته ، والآيات التي تحدثت عنه كثيرة ، منها قول الله تعالى : ﴿ .. ثم قفّينا على آثارهم برسلنا ، وقفّينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة / الحديد - ٢٧ ﴾ ، ومنها : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه / النساء - ١٧١ ﴾ ، ومنها ﴿ وآتَيْنا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس / البقرة - ٨٧و٢٥٣﴾ ، ومنها : ﴿ ذلك عيسى بن مريم قولَ الحق الذي فيه يمترون / مريم - ٣٤ ﴾ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين / الأنعام - ٨٥ ﴾ .

أما محمد رسول الله ﷺ فقد قال معظماً شأن عيسى عليه السلام : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » [1]

وكان يعطي عيسى عليه السلام من بين الأنبياء مكانة خاصة ، فيقول في موضع : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعلّات [2] ،

---

[1] صحيح البخاري - كتاب الأنبياء - باب يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ٣١٩/٤ .

[2] العلاّت ، بنو أمهات شتى من رجل واحد . (القاموس المحيط . مادة علل) .

أمهاتهم شتّى ودينهم واحد »[(1)] ، كمايقول في موضع آخر : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علاّت ، ليس بيني وبينه نبي »[(2)] . بل لقد بشر بأن عيسى عليه السلام سيعود إلى الدنيا في آخر الزمان مهدياً وحكيما مقسطا[(3)] .

ولا بد من التأكيد ـ صوناً للحقيقة وللتاريخ ـ بأنّ المسلمين حين يحيطون عيسى وأمه عليهما السلام بهالات من التقدير ، إنما يفعلون ذلك ، لا من باب المجاملة ، وإنما يفعلونه بدافع من إيمانهم ، واستجابة منهم لأمر الله ، وإثباتاً لعلمهم اليقيني به .

إن كثيراً مما جاء في صفات السيد المسيح عليه السلام مشترك في المسيحية وفي الإسلام ، فهما يتفقان في عدد من صفاته ويختلفان في عدد آخر منها ، وعرض مثل هذه الصفات المتفق عليها قد يساعد عامة المسلمين وعامة النصارى على فهم أكبر لبعضهم .

إن احترازاً ضرورياً تجدر الإشارة إليه قبل عرض هذه الصفات ، وهو أنه قد يوجد في بعض الأمور المتفق عليها أحياناً اختلاف في المراد أو في التفريعات أو التفصيلات ، ويفترض ألاّ تخفى على ذهن القارئ .

أما الأمور المتفق عليها بين الإسلام والمسيحية حول السيد المسيح فيمكن إجمالها في النقاط التالية :

١ ـ ولادته عليه السلام بدون أب من البشر :

يؤكد الإسلام هذه الحقيقة حيث يقول الله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون / آل عمران ـ ٥٩ ﴾ ، وحيث يقول : ﴿ إنما

---

(1) صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ٣٢٣/٤ .

(2) صحيح البخاري ـ كتاب الأنبياء ٣٢٢/٤ وصحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ١٤٣/٧ ، وسنن أبي داود الحديث رقم ٤٦٧٥ .

(3) انظر مسند أحمد بن حنبل ٤١١/٢ وسنن الترمذي الحديث ٢٣٣ وسنن ابن ماجه الحديث ٤٠٧٧ . .

المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم / النساء ـ ١٧١ ﴾ . والمسيحية كذلك تؤكد هذه الحقيقة : « ها أن العذراء تحمل وتلد طفلاً / متى ٢٣/١ » ، و « فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً ، فأجاب الملاك وقال لها : إن الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي العظيم تظللك / لوقا /٢٥ » .

لقد أشرنا منذ قليل إلى ضرورة الاحتراز لدى ذكر بعض المفاهيم أو المصطلحات لاحتمال وجود خلاف في المراد أحياناً ، ومعلوم أن المسلمين يقولون : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد / الاخلاص ﴾ ، وأن المسيحيين حين يقولون إن عيسى ابن الله ، يصرحون بأن المقصود ليس هو المعنى البيولوجي نتيجة زواج الذكر بالأنثى ، هذا دون الدخول في تفصيلات عقيدة التثليث التي أشرنا إليها في « التمهيد » .

٢ ـ أمه هي مريم البتول :

والآيات التي تؤكد هذه النسبة عند المسلمين كثيرة جداً منها : ﴿ ذلك عيسى بنُ مريم قولَ الحق الذي فيه يمترون / مريم ـ ٣٤ ﴾ ، و ﴿ وقفّينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل / الحديد ـ ٢٧ ﴾ ... والمسيحيون يؤكدون أن مريم أمه : « أليست أمه تسمى مريم / متى ٥٥/٢٣ » ، و « فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم فإنك قد نلت نعمة الله ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً يسمى يسوع / لوقا /١-٢٠-٢٢ » .

٣ ـ هو « كلمة الله » :

إن لقب « كلمة الله » للسيد المسيح عليه السلام ، هو لقب مشترك عند المسلمين وعند النصارى ، ولكن مفسري القرآن من علماء المسلمين وقفوا عند المعنى اللغوي للكلمة أي « الأمر » ، وذلك بأن كلّم الله بكلمة « كن » ، فكان هذا الحادث غير العادي ، وهو ولادة طفل من أم بدون اشتراك أب في التوليد : ﴿ إن الله يبشرك بكلمة

منه اسمه المسيح عيسى بن مريم / آل عمران - ٤٥ ﴾ و ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه / النساء - ١٧١ ﴾ .

أما في المسيحية ، فإن الكلمة تعني السيد المسيح « في البدء كان الكلمة – والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله / يوحنا ١/١ » .

٤ - اسمه المسيح :

هذه التسمية وردت كثيراً في القرآن : ﴿ وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم / المائدة - ٧٢ ﴾ ، و ﴿ ما المسيحُ ابنُ مريم إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل / المائدة - ٧٥ ﴾ .

وفي النصرانية وردت هذه التسمية أيضاً : « لأن الناموس أُعطي لموسى ، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح حصلا / يوحنا ١٧/١ » ، و « إنه هو المسيح ملك إسرائيل / لوقا ٣٢/١٥ » .

٥ - هو رسول الله :

عيسى بن مريم في معتقد المسلمين رسول أرسل إلى بني إسرائيل : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل / آل عمران - ٤٨-٤٩ ﴾ ، و ﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل / المائدة - ٧٥ ﴾ .

أما في المسيحية فإن عيسى عليه السلام رسول ، وقد ورد ذلك على لسانه في الأناجيل : « إن روح الرب عليّ ، ولأجل ذلك مسحني وأرسلني لأبشر المساكين / لوقا ١٨/١٤ » ، و « مَنْ قَبِلَكُمْ فقد قبلني ، ومن قبلني فقد قبل الذي أرسلني / متى ٤٠/١٠ » و « وقال لهم : لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل / متى ٢٤/١٥ » .

٦ ـ هو نبيّ :

عيسى نبي مرسل بصريح القرآن الكريم : ﴿ قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً / مريم ـ ٣٠ ﴾ ، و ﴿ وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم .. / آل عمران ـ ٨٤ ﴾ .

وهو لدى النصارى نبي صراحة : « ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلين من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل / متى ١١/٢١ » ، كما يصف هو نفسه بأنه نبيّ إشارة أو كناية : « وقال لهم : الحقّ أقول لكم ، ليس نبيّ مقبولاً في وطنه / لوقا ٢٤/٤ » ، و « وكانوا يشكّون فيه ، فقال لهم يسوع : لا يكون نبيّ بلا كرامة إلا في وطنه وبيته / متى ٢٥/١٣ » .

٧ ـ صاحب معجزات :

نسب الإسلام إلى عيسى عليه السلام معجزات تصدر عنه بإذن ربه ، وتعزز نبوّته ؛ منها قدرته على تحويل هيئة طير من الطين ينفخ فيه فيصبح طيراً ، ومنها إبراؤه الأكمه [1] والأبرص ، ومنها إحياؤه الموتى بإذن الله ، ومنها كذلك إخبار الناس بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم : ﴿ .. أني قد جئتكم بآية من ربكم : أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم . إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين / آل عمران ـ ٤٩ وانظر المائدة ـ ١١٠ ﴾ .

وترد في النصرانية نفس المعجزات له عليه السلام ، ما عدا خلق الطير من الطين : فقد شفى الأبرص : « فجاء إليه أبرص وسأله ساجداً له قائلاً : إن شئت فأنت قادر أن تطهرني فتحنن له يسوع وقال له : قد شئت فاطهر ، وفيما هو يكلمه للوقت ذهب عنه البرص / مرقس ١-٤١-٤٢ وانظر متى ٢/٨ـ٣ » . كما شفى الأعمى الأكمه :

---

[1] الكَمه : العمى منذ الولادة .

« وفيما يسوع مجتاز رأى رجلاً أعمى منذ مولده فسأله تلاميذه قائلين : يا رب : من أخطأ ؟ هذا أم أبواه ؟ أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه .. قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفلته طينا ، وطَلَى بالطين عينَي الأعمى ، وقال له اذهب واغتسل في بركة سِلْوامَ الذي تفسيره المرسل ، فمضى واغتسل وعاد بصيرا / يوحنا ٩/١-٧ » وانظر شفاء أعميين آخرين (متى /٩/٢٧) .

وقد أحيا الموتى كذلك : « فلما قرب من باب المدينة إذا ميّت محمول وهو ابن وحيد لأمه ، كانت أرملة وكان معها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنّن عليها وقال لها لا تبكي ، ودنا ومس النعش ، فوقف الحاملون فقال : أيها الشاب : لك أقول : قم . فاستوى الميت وبدأ يتكلم فسلمه إلى أمه / لوقا ٧/١٢-١٥ » .

ومن مجمل ما جاء في القرآن الكريم حول سيدنا عيسى عليه السلام ، يعطينا الدكتور صبحي الصالح انطباعاً رائعاً عنه حين يقول : « هذه هي الصورة المشرقة الحيّة التي رسمها القرآن للسيد المسيح ، وإن المسلم ليرى هذه الصورة كل ساعة من ليل أو نهار وكل لحظة من ساعة أو زمان ، ولدى كل رعشة من قلب يَوْجل وكل خلجة من نفس تخفق . كلما ذكرنا نبينا ذكرناه ، وكلما عظمنا نبينا عظمناه ، وإذا تلونا كتاب الله رأينا (كلمته) عيسى بن مريم يطلع علينا وضاح الجبين متلألئاً بالنور ، في الحرف الذي نخرجه شافياً واللفظ الذي نرتله صافياً ، والمقطع الذي نتدبره هادياً ، فسلام عليه في الخالدين وسلام على إخوانه المسيحيين » [1] .

---

[1] الأسس المشتركة بين الديانتين في ميادين المعتقدات : بحث من أدبيات ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ١٩٧٦ .

أهل الكتاب وأهل الذمّة

الإسلام يكرّم الإنسان لذاته ، ولإنسانيته : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم / الإسراء ـ ٧٠ ﴾ . ومن هذا المنطلق يكرّم الإسلام من لم يكونوا على دينه وإن كانوا من المشركين والوثنيين ، ويحضّ على برّهم والعدل معهم والإحسان إليهم ما داموا لا يتعرضون للمسلمين بالأذى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين / الممتحنة ـ ٨ ﴾ [1]

أما النصارى واليهود ، وهم أهل دينين سماويين ، فإن من الأحرى أن يكون برّهم والعدل معهم والإحسان إليهم أشد مراعاة منه لدى غيرهم ؛ ذلك لأن بينهم وبين المسلمين وشائج وصلات تتمثّل في صور وأشكال متعددة ، منها أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياءه جميعاً ، ومنها اعتراف الإسلام بنبوّة أنبيائهم وإحاطتهم بالتجلّة والاحترام ، ومنها الاعتراف بما أنزل الله على هؤلاء الأنبياء من كتب وصحف ، ومنها ورود نصوص من هذه الكتب في القرآن الكريم في لون من التوثيق المقدّس لدى المسلمين ، والأمثلة على ذلك عديدة ، منها قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يُنَبَّأْ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى ، ألاّ تزر وازرة وزر أخرى ، وأنْ ليس للإنسان إلا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى / النجم ـ ٣٦ ﴾ ، ومنها قوله سبحانه : ﴿ قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربه فصلّى ، بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرةُ خيرٌ وأبقى ، إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى / الأعلى ـ ١٤-١٩ ﴾ ، ومنها : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون / الأنبياء ـ ١٠٥ ﴾ ، ومنها أيضاً قوله تعالى ، بعد الحديث عن التوراة وما

---

[1] هذه الآية نزلت في مشركي العرب وهم ليسوا أهل كتاب .

فيها من هدى ونور : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسنّ بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدّق به فهو كفّارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون / المائدة ـ ٤٥ ﴾ .

ومن مجموع هذه العلاقات والوشائج مع أتباع الأديان السماوية ، وهم النصارى واليهود ، أفردهم الإسلام بلون خاص من الرعاية والتكريم ، وأسماهم « أهل الكتاب » تمييزاً لهم عن الآخرين ، فكان نداء القرآن لهم دائماً بصيغة « يا أهل الكتاب » ، أو بصيغة « يأيها الذين أوتوا الكتاب » .

وتحديداً لمضمون هذا المصطلح ، فإن إرساله على إطلاقه يشمل كل نصراني وكل يهودي في أي زمان في الدنيا ، وفي أي مكان من ديار العالم ، وبالتالي فإن التعامل معهم جميعاً ينطبق عليه ما فرضه الإسلام على المسلمين من ضرورة البر بهم والعدل معهم ، لا يُستثنى من ذلك إلاّ أولئك الذين أشارت إليهم الآية ممن يقاتلون المسلمين في دينهم ، أو يخرجونهم من ديارهم .

أما أهل الكتاب الذين يعيشون في البلاد الإسلامية ويعايشون المسلمين في جميع شؤون الحياة ، فهم مواطنون أجمع المسلمون منذ عصر النزول إلى هذا اليوم على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، إلاّ ما كان من شؤون الدين والعقيدة ، فإن كلاً منهم يمارسها بحسب معتقدات دينه وبكل حرية .

وحرصاً من الرسول ﷺ على استمرار رعايتهم ، ودفعاً لتأويلات جاهلة في التعامل معهم مستقبلاً ، وتثبيتاً لجميع حقوق المواطنة التي أقرّها الإسلام لهم ، وضماناً لكل ذلك ، فتح ﷺ لهم صدره ـ وأعلن ـ في خصوصية متميزة ـ أنهم في حمايته ، وفي ذمته إلى آخر الدهر ، يؤذيه ما يؤذيهم ، ويسوءه ما يسوءهم ، وسماهم أهل الذمة : « ذمة الله » و « ذمة رسوله » .

كما ألحق بأهل الذمة « المعاهد » ، وهو الكتابيّ من غير أهل البلاد ، إذا دخل بلاد المسلمين بصورة مشروعة (مقيماً أو سفيراً أو تاجراً أو زائراً أو سائحاً ..) ، فإن حكمهُ هو حكم الذميّ ، يعامل معاملته ، ويتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها المواطن .

وهنا نجد ضرورة لوقفة قصيرة عند مصطلح « أهل الذمة » لجلاء بعض الالتباس لدى بعض إخواننا من النصارى ، ذلك أن (هذا البعض) يتحسس من هذه التسمية ، وفي ظنّهم أن بها مساساً بهم وبمشاعرهم ، ومن يتحرّ معناها ويتتبع ما جاء في صددها من أحاديث وأقوال لابد أن يتغير نظره إليها ويعتبرها - من ثَمَّ - تسمية إعزاز وتقدير ، نسوق هذا الكلام لا إلى بعض الإخوة من النصارى فحسب بل إلى بعض الإخوة من المسلمين الذين جهلوا دواعي هذه التسمية ودلالاتها . ولعل مثلاً بسيطاً يعرف الجميع إمكانية حدوثه يزيد جلاء المعنى الذي أراده الرسول ﷺ من هذه التسمية . إن البدوي البسيط في خيمته المتنائية ، إذا استجار به مستجير ، ودخل في ذمته ، فإنه يقوم بحمايته ولو عرض نفسه وأهله للقتل دفاعاً عن ذمته ، وحماية لها أن تُخفر ، وإذا كان هذا الحال مع ذمة البدوي ، فكيف يكون مع من دخل في ذمة رسول الله ﷺ ، وهو نبيّ المسلمين وقائدهم وقدوتهم ، وهذا يعني أن كل مسلم مستعد للتضحية بنفسه وبأهله للدفاع عن أي ذميّ يتعرض ظلماً للأذى ، وذلك من باب التزام المسلم بالدفاع عن ذمة رسوله . « إن الذمة هي (العهد) ، وهي كلمة توحي بأن لصاحبها عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا مع المسلمين آمنين مطمئنين » [1] .

والأحاديث التي وردت في رعاية أهل الذمة وفي رعاية المعاهدين كثيرة جداً ، ونكتفي بالإشارة إلى بعضها فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من آذى ذمياً فقد آذى الله » [2] ، وأنه قال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلّفه فوق طاقته

---

[1] الحلال والحرام في الإسلام ص٣٢٨ .

[2] المعجم الوسيط : الطبراني - الترجمة ٤٦٧ .

أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » [1] ، وأنه قال : « من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله ، فلا يُرَح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً » [2] .

وناهيك بمثل هذه الأحاديث في التشدد في الوصاية برعاية أهل الذمة ؛ الأمر الذي يفترض أن لا يسمح بأي تحسس تجاه هذه التسمية .

أما المواقف والأقوال والوصايا التي صدرت عن الخلفاء والصحابة والفقهاء بشأن أهل الذمة فإنها تصب كلها في الحقل نفسه من الحماية والبر والإحسان ، وقد كان هاجس الخليفة عمر بن الخطاب التأكيد الدائم على إكرامهم ورعايتهم ، فقد روي عنه أنه قال : أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ : أن يُوفّى إليهم بعهدهم ، وأن يُقاتَل من ورائهم ، وأن لا يُكلَّفوا فوق طاقتهم » [3] .

وتأكيد عمر على وجوب قتال المسلمين دفاعاً عنهم أمر يؤكد أهمية حماية أهل الذمة من قبل إخوانهم المسلمين . وهناك وصيته حين طعن وأشفى على الموت وسأله من حوله من الصحابة أن يوصيهم ، يروي جويرية بن قدامة هذه التوصية ويقول : « ... فلما دخلنا عليه ، وقد عصب بطنه بعمامة سوداء ، والدم يسيل ، فقلنا : أَوْصِنا، فقال : أوصيكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه . فقلنا : أوصنا ، فقال : أوصيكم بالمهاجرين خيراً فإن الناس سيكثرون ، وأوصيكم بالأنصار فإنهم شِعْب

---

[1] سنن أبي داود : الحديث ٤٦٩ وسنن ابن ماجه كتاب الديات الحديث رقم ٢٦٨٧ .

[2] الجامع الصحيح (صحيح البخاري) : باب من قتل معاهداً بغير جرم ٢١١/٤ ومسند أحمد بن حنبل ١٨٦/١ وسنن الترمذي الحديث رقم ١٤٠٣ .

[3] الجامع الصحيح ـ صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب يُقاتل عن أهل الذمة ولايُسْتَرقون ، والخراج لأبي يوسف ص١٢٥ ، والخراج ليحيى بن آدم القرشي ص٧١ .

الإسلام الذي لُجِئَ إليه ، وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم . وأوصيكم بأهل ذمتكم فإنهم عهد نبيكم ورزق عيالكم »[1] .

ونلاحظ أن عمر ، في هذه الوصية ، وهو مشفٍ على الموت أوصى ـــ بعد ضرورة التمسك بالقرآن الكريم ـ بأربع فئات من الناس خصّها بالذكر والرعاية ، منها المهاجرون والأنصار وهم دعاة وحماة الدعوة الإسلامية والمضحّون من أجلها ، والأعراب وهم مادة العرب الصافية لإقامتهم النائية في البوادي ، كما أوصى بأهل الذمة ، وكفى رعاية وتقديراً وحماية لأهل الذمة من قَرْن وصية عمر بهم بوصيته بالمهاجرين والأنصار ، وهم ما هم في الإسلام ولدى المسلمين .

وهناك قول للصحابي الجليل سلمان الفارسي[2] ﷺ ، حين سأله رجل : ما يحق لنا من أهل الذمة يا أبا عبد الله . فقال : ثلاث : إذا صحبت الصاحب منهم تأكل من طعامه ويأكل من طعامك ، ويركب دابتك وتركب دابته ، وأن لا تصرفه عن وجه يريده »[3] . وهل هناك مساواة أرق وأحلى من هذه المساواة حتى في أدق الخصوصيات .

أما أقوال علماء المسلمين في وجوب رعاية أهل الذمة فهي من الوفرة بمكان ، وقد مرت بنا شهادة الزمخشري وابن عطية وابن جُزَيّ في النصارى بالذات ، وفي وصف سجاياهم ، ولكن علماء آخرين تحدثوا عن خصوصية أهمية رعاية أهل الذمة من قبل المسلمين ، فكان من وصية الفقيه أبي يوسف[4] صاحب أبي حنيفة إلى الخليفة هارون

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ١/٥١ . والسنن الكبرى : ١٤/٥٣ .

(2) سلمان الفارسي : من كبار رجال الصحابة أصله فارسي من مجوس أصبهان ، وكان صاحب رأي وحكمة توفي ٣٦هـ /٦٠٦م .

(3) الخراج : أبو يوسف ـ ص/١٢٦ .

(4) أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري أحد أئمة المذهب الحنفي ـ تولى القضاء أيام المهدي والهادي والرشيد ولقب بقاضي القضاة توفي عام ١٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

الرشيد أن قال له : « ... وقد ينبغي يا أمير المؤمنين ـ أيدك الله ـ أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ حتى لا يُظلموا ولا يُؤذَوْا ، ولا يُكلّفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه » [1] ، ونحا الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي [2] المنحى نفسه في حديثه عن أهل الذمة حين قال : « إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا ، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ، أو أي نوع من أنواع الأذى ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيّع ذمّة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام » [3] .

أما الفقيه ابن حزم فقد أبعد في الحديث عن حماية أهل الذمة ، إلى حد خوض الحرب من أجل ذمي حاول أهل الحرب إيذاءه ، مهما كلفت هذه الحرب من تضحيات صوناً لذمة الله وذمة رسوله : « إن من كان في الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه ، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ، ونموت دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه إهمال لعقد أهل الذمة » [4]

وكل هذه النصوص ، عدا تأكيدها المكانة الرفيعة للنصارى لدى المسلمين من خلال تعاليم إسلامهم ، تؤكد في الوقت ذاته المعنى الحقيقي لمفهوم « الذمة » في نفوس المسلمين ، وأن ذمة نبيهم وعهده مصونان لديهم ، وأن من واجب كل مسلم الحفاظ عليهما والدفاع عنهما ، وبالتالي فإن من واجب كل مسلم أن يسارع إلى الدفاع عن أي من أهل الذمة إذا تعرض لأي لون من الأذى ، بدءاً من احتمال تعرضه لكلمة سوء

---

[1] الخراج : أبو يوسف : ص١٢٥.

[2] أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي فقيه من علماء المالكية له عدة مؤلفات ولد ومات في مصر وكانت وفاته ٦٨٤هـ ـ ١٢٨٥م .

[3] الفروق : (أنوار البروق في أنوار الفروق) : ١٤/٣ (الفرق ١١٩) .

[4] مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والانتقادات ص١١٢ .

إلى ما فوقها من أنواع الأذى المحتملة . وهذا الدفاع يتدرج في أساليبه بحسب درجات الأذى التي يتعرض لها الذمي حتى يصل الأمر إلى حد القتال وما يتبعه من أنواع المخاطر للذود عنه بل وإلى حد التعرض للقتل في سبيل حمايته .

وأتصور أن أيّ نصراني يدرك المعاني التي يشتمل عليها مفهوم « أهل الذمة » ، وبالصورة التي تحدثت عنها النصوص الإسلامية ، يحق له أن يتيه دلالاً حتى على المسلمين أنفسهم ، لأنه محميٌّ من قبلهم ، لا مَنّاً منهم ولا تطوعاً ، بل ندبٌ مأمورون به من خلال احترامهم لذمة نبيّهم ، التي يفترض في كل مسلم صادق أن يرعاها وأن يصونها مهما كلّفه ذلك من ثمن . ومن ثَمّ ، فإن التحسس من مصطلح « أهل الذمة » لدى أي نصراني يصبح ، في تصورنا ، غير ذي موضوع .

أوجه اللقاء

في العقائد

أيّ حديث عن الإسلام وعن النصرانية ، لا يمكنه التغافل عن وجود فروق بينهما في المعتقدات ، وهي فروق نابعة من طبيعتهما ، وكما أشرنا من قبل ، فإن مؤرخ الأديان هو الباحث المختص بدراسة هذه الفروق من خلال الدراسات المقارنة .

ولكن الباحث الذي يحرص على تدعيم فكرة التعايش النابعة أيضاً من طبيعة الأديان يتجاوز في بحثه تلك الفروق ، إلا عند الضرورة ، لأن طبيعة بحثه تقتضي التركيز على نقاط الالتقاء النابعة من جوهر الدين - أي دين - ومن مضامينه الأصلية ، لأن الأديان كلها تحضّ على الخير وعلى التعايش بين الناس . والتعايش دون كراهية أو بغضاء جزء من هذا الخير . أما نظرة الإسلام ، وبالتالي نظرة المسلمين إلى التعايش ، فإنها تنبع من روح القرآن الكريم ومن نصوصه ، لأن الدين في نظر القرآن هو واحد منذ برأ الله الخليقة فهو يتنزل من عند الله عبر الأنبياء وعبر الكتب والصحف والزبر في تكامل ، وأطلق عليه القرآن اسم « الإسلام » ﴿ إن الدين عند الله الإسلام / آل عمران - ١٩ ﴾ . وإذا أخذت كلمة الإسلام بمعناها القرآني لم تدع مجالاً للتساؤل عن العلاقة بين الإسلام وسائر الأديان السماوية ، « فالإسلامُ في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص .. إنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء » [1] . وإن هذا المعنى يتكرر في القرآن ، هذا ما قاله نوح لقومه : ﴿ وأُمِرْتُ أن أكون من المسلمين / يونس - ٧٢ ﴾ ، وهذا ما وصّى به يعقوب بنيه : ﴿ فلا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون / البقرة - ١٣٢ ﴾ ، وهو جواب أبناء يعقوب لأبيهم :

---

[1] الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص١٨٣ .

﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، إلهاً واحداً ونحن له مسلمون البقرة ـ ١٣٣ ﴾ ، ومثله قول موسى لقومه : ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم با لله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين / يونس ـ ٨٤ ﴾ ، وكذلك قول الحواريين لعيسى : ﴿ آمنا با لله واشهد بأنا مسلمون / آل عمران ـ ٥٢ ﴾ .

ومن هذا المنطق يكون الدين الإسلامي هو الدين الذي يضمن المواصلة بين الأديان في إطار من التكامل المكلل بهالات من التقدير ، وبالتالي يفرض على معتنقيه أن يحسنوا التعامل مع أبناء الأديان الأخرى ، ليعيشوا جميعاً في أمن وأمان ، على الرغم من وجود قضايا خلافية أساسية يحتفظ كل منهم بما يعتقده فيها : ﴿ لا ينهاكم ا لله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم / الممتحنة ـ ٨ ﴾ . وواجب المسلم أن يبر غير المسلم ، وأن يكون عادلاً في تعامله معه ، ولا يستثنى من ذلك إلا حالة عدوان غير المسلم عليه بالقتال أو بالإخراج من الديار .

إن القضايا الخلافية الأساسية في المعتقدات بين الإسلام والمسيحية محدودة ومعروفة وتوضع في إطارها من خلال احترام أبناء الدينين لبعضهم بعضاً في ما يعتقدون ، إلا أن هناك قضايا اعتقادية مشتركة كثيرة جداً ، وهي من صميم الدينين ، وكشفها وتقديمها يساعدان كثيراً على التقارب وعلى العيش المشترك ؛ ذلك أن الدينين الإسلامي والمسيحي ينبعان من معين واحد مصدره الوحي الإلهي ، ويهدفان إلى تحقيق غاية واحدة هي تكريم هذا الإنسان المستخلَف في الأرض ليعمرها ، ولتمكينه من أداء رسالته في أمان وحرية .

إن جميع المعتقدات التي جاء بها الدينان عطاء من ا لله سبحانه عن طريق الوحي الإلهي الذي تنزّل على رسل ا لله وأنبيائه ، وبالتالي فإن نظرة الدينين إلى مسيرة التاريخ الإنساني تتم في إطار هذا الوحي ، كما أن المستقبل يُفترَض أن يُرصد ضمن هذا الإطار كذلك ، هذا المستقبل الذي يستمر حتى يوم الحساب ، يوم يرث ا لله الأرض وما عليها ، وحيث تعاد موازين التاريخ إلى وضعها الطبيعي ، بحسب علم ا لله المحيط ، وبحسب عدله الشامل ، وبحسب رحمته التي وسعت كل شيء .

إن التركيز على نقاط الالتقاء بين المسيحية والإسلام غرضه إيجاد جو جديد من التفاهم والتآلف ، يقوم على التخلص من المفاهيم الخاطئة السائدة ، كسوء الفهم وانعدام الثقة والأحكام المسبقة غير المبنيّة على أساس سليم . وهي أمور كانت في كثير من الأحيان تساعد على تزييف الحقائق وعلى مباعدة أبناء الدينين عن بعضهم بعضاً .

إن جلاء نقاط الالتقاء يساعد على فهم كل من الفئتين فهماً صحيحاً لبعضهما بعيداً عن العقد السابقة ، ومن ثم يساعد على التعاون للوقوف في وجه التيارات الجامحة من الإلحاد والفساد وطغيان المادة .

وإذا عدنا إلى روح الدينين وإلى منبعهما الإلهي وإلى ما يبشّران به من قيم ، لم نستغرب ضرورة مثل هذا اللقاء وبخاصة في مثل ظروفنا المعاصرة ، لأن مبادئ الدينين تقوم على الغفران والرحمة والمحبة والتعاطف والتسامح بين الخلق جميعاً ، وفي ذلك كسب كبير للإنسانية التي بدأت تفقد روحها وطبيعتها .

وإذا حرَصَ كل إنسان على الوقوف دائماً عند الجوهر ، وعلى أخذه بعين الاعتبار لدى بحثه عن الأسس الاعتقادية المشتركة ، سهل عليه رسم حدود هذه الأسس وتوضيح معالمها ، هذا مع ضرورة الحرص دائماً على تجنب الخوض في القضايا الخلافية الأساسية التي لا مجال للتوفيق بصددها ، والتي يجب على كل طرف أن يحترم الطرف الآخر فيما يعتقده حولها .

يشترك الإسلام والمسيحية في الاعتقاد بوجود الله . ومع الاحتراز بينهما حول طبيعته ، فهم جميعاً يعتقدون أنه الإله الواحد المنزّه الأزلي خالق الكون ، وأن الإنسان خليفته في الأرض والمنفذ لإرادته فيها ، وتحقيق الإنسان لهذه الإرادة يتجلى بالالتزام بتنفيذ أوامره ونواهيه ، لأن فيها سعادته في الدنيا والآخرة ، كما أن العبادات والأعمال مقصدها واحد عند المسلمين والمسيحيين ؛ إذ يحرص كلا الفريقين على عبادة الله مقرّين باللسان ، ومصدقين بالقلب ، ومخلصين بالعمل .

إن وحدانية الله عند المسلمين بديهية لا يتحقق إسلام المرء إلا بها ، وقد أثبتتها النصوص الكثيرة في القرآن دونما أي لبس : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد / الاخلاص ﴾ و ﴿ سبحانه هو الله الواحد القهار / الزمر ـ ٤ ﴾ و ﴿ الله لا إلّه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم / آية الكرسي ـ البقرة ـ ٢٥٥ ﴾ .

والمسيحية تعلن أن الله واحد ، مع الاحتراز بأن تصور الألوهية ليس واحداً في الإسلام والمسيحية ، ولكنه يعني ، وبشكل حازم بوجود الله وتوحيده مهما تنوعت أشكال التصور حوله . يقول السيد المسيح عندما سأله أحد الكتبة عن الوصايا : « اسمع يا إسرائيل ، إن الرب إلّهنا رب واحد ، فأحبب الرب إلّهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك / مرقس ١٢/٣٠ » ، و « لأن الله واحد ، والوسيط بين الله والناس واحد ، وهو الإنسان يسوع المسيح / رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل تيموتاوس ٢/٥ » .

وكانت وثائق المسيحيين وكتابات كبار مفكريهم حريصة دائماً على التأكيد على معنى التوحيد ، فقد جاء في توصيات المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول النص التالي : « إن الكنيسة تؤمن وتعلم بأن الله واحد ، وهو الحق الحي خالق السماء والأرض وربهما على السواء ، إنه القدير السرمدي الذي لاحد له ، ولا يحيط به غيره علماً ، وليس أي حد لعقله ومشيئته وكماله . وبما أنه جوهر روحي واحد في طبيعته لا يتركب ولا يتغير أبداً ، يجب على الجميع أن يقولوا إنه يتباين عن مخلوقاته في الواقع وبذاته ، إذ إنّه يجد رضوانه في ذاته وبذاته لأنه متعال عن كل ما هو سواه مما هو

موجود في الدنيا وممكن الوجود »[1] ، وكتابات المفكرين المسيحيين ورجال الدين لديهم تؤكد معنى وحدانية الله ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما جاء به الكاردينال أنريكي حين قال : « شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الإيمان بوحدة الله ـ آمنا بالله وحده ـ وهذا ما نعلنه بكل قوة مع إخواننا المسلمين ، وكأتباع المسيح نؤمن بالله الأحد المنزه ، خالق السماء والأرض المثيب الرحيم الغفار .. وباستطاعتنا تبنّي كل أسماء الله الحسنى التي يطلقها المسلمون على الله الواحد إله إبراهيم وإسحق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين »[2] .

والإيمان بوحدانية الله تُبنى عليه قضايا إيمانية كثيرة ، منها محبة الله ، ومحبة الله عند المسلمين جزء من إيمانهم ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله / آل عمران ـ ٣١ ﴾ ، و ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله / البقرة ــ ١٦٥﴾ . وعند المسيحيين هي كذلك : « أحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك ، وكل ذهنك ، وكل قدرتك / مرقس ١٣/٣٠ » .

ومنها الإيمان باليوم الآخر وبالحساب والعقاب ، وبالجنة وبالنار وبالخلود في الآخرة . هذه الأمور من قضايا العقيدة المعتبرة لدى المسلمين ﴿ إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم / الغاشية ـ ٢٥ ﴾ ، و ﴿ إليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقاً ، إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط / يونس ــ ٤ ﴾ ، و ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون / الأعراف ــ ٤٢ وهود ــ ٢٣ ﴾ ، و ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون / يونس ـ ٢٧ و الرعد ـ ٥ ﴾ .

---

[1] الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة / بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ص٣١٩ .

[2] عيسى ومحمد في المسيحية والإسلام ص٥ .

وهذه القضايا نفسها هي من أمور العقيدة المعتبرة لدى المسيحية أيضاً : « لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون / متى ٢٢-٢٩ » ، و « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بي فله الحياة الأبدية / يوحنا ٦/٤٧ » ، و « فنخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة / يوحنا ٥/٢٩ » ، و « فخير لك أن تدخل الجنة وأنت أعرج من أن يكون لك رجلان وتلقى في جهنم / مرقس ١٠/٤٢ » ، و « وهذه الشهادة أن الله أعطانا الحياة الأبدية / رسالة القديس يوحنا الأولى ٥-١١ » .

ولقد أكد البابا يوحنا بولس الثاني القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحية حين تكلّم في جموع من الشباب المسلم في الدار البيضاء بالمغرب يوم ١٩ آب (أغسطس) ١٩٨٥ وقال : « إننا ، مسيحيين ومسلمين ، نشترك في أمور شتّى ، بكوننا مؤمنين وبشراً ، ونعيش في عالم واحد مُتّسِم بعلامات عديدة تدعو للرجاء والأمل ، ولكنه مُتّسِمٌ أيضاً بعلامات متعددة تدعو إلى القلق . إن سيدنا إبراهيم أسوة واحدة لنا في الإيمان بالله ، والخضوع لمشيئته ، والثقة بجوده ، وإننا نؤمن بنفس الإلـه ، اللهِ الأحدِ ، اللهِ الحيِ ، اللهِ خالقِ العالَمين ، الذي يسيُر بكائناته إلى الكمال » [1]

إن استعراض النقاط المشتركة في العقائد بين الإسلام والنصرانية سيكون عاملاً في التقريب والتقارب ، وإذا أضيف إلى ذلك من جانب المسلمين أنهم يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل ، وبما جاءوا به من دعوة الإيمان ، وبالكتب التي أنزلت عليهم ، فإن ذلك يعد ميزة تمهد للقاء الإسلام مع الأديان السابقة دون تصادم .

---

[1] وسائل عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين : ص١٨٧ .

أوجه اللقاء

في السلوك

تحضّ الأديان جميعها على الفضائل ، ويمتاز الدينان الإسلامي والمسيحي منها بشكل خاص بحرصهما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما أساس الفضائل . ويلتقي الدينان حول هاتين القيمتين لقاء أكثر تطابقاً مما يخطر ببال الكثيرين من أتباعهما ؛ ذلك أن المبادئ الهادية في كليهما واحدة . وفي القرآن آيات كثيرة تتلاقى في معانيها مباشرة مع كثير مما يرد في إصحاحات الكتب المقدسة حول هذه المبادئ وهذه القيم .

يدعو الدينان إلى حياة في الدنيا تتسم بالفضيلة ، وتتجلى بكل أوجه الخير . إن خطبة الجبل الواردة في إنجيل متى ، على سبيل المثال ، تمثل نموذجاً رائعاً للتوجّه السلوكي الأخلاقي في المسيحية ، وتتطابق في معظم ما جاء فيها مع التوجهات السلوكية الأخلاقية في الإسلام .

إن القيم المشتركة بين الدينين ، والتي تندرج في مظاهر التعامل والسلوك يمكن رصدها في زمرتين هما زمرة قيم الأمر بالمعروف ، وزمرة قيم النهي عن المنكر .

الأمر بالمعروف :

ففي الأمر بالمعروف نجد أن الدينين يدعوان دائماً إلى صفاء النفس ونقاء القلب ، إذ كل ما عدا ذلك هباء لا يساوي شيئاً عند الله ، ففي الإسلام : ﴿ يومَ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم / الشعراء ــ ٨٩ ﴾ وفي المسيحية : « طوبى للأنقياء القلوب ، فإنهم يعاينون الله / متى ٥ـ٨ » ، ونقاء القلب وصفاء النفس على جلاء دائماً ، ولا يمكن أن يمازجهما أيّ لون من ألوان الرياء أو النفاق ، لأن الرياء والنفاق

بعيدان عن الصدق ، ويستبطنان الخداع ، وهي صفات لا يحبها الله ولا يتصف بها المؤمنون ، فالنصارى يرفضون جميع أنواع النفاق ، والسيد المسيح أوصاهم بقوله : « فإذا صنعتَ صدقة فلا تهتف قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجامع والأزقة لكي يمجدهم الناس / متى ٦ـ٢ » ، كما أوصاهم أيضاً : « وإذا صُمتم فلا تكونوا معبِّسين كالمرائين فإنهم يُنكِّرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين / متى ١٦/٦ » .

والمسلمون يتلاقون مع النصارى في شجب الرياء والنفاق ، وقد شدّد الإسلام النكير على المرائين والمنافقين لأنهم يفقدون صفاء النيات ، وتخالف أعمالهم نياتهم : ﴿ فويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يُراءون ويمنعون الماعون / الماعون ـ ٤ـ٦ ﴾ و ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاءَ الناس ولا يؤمن با لله واليوم الآخر / البقرة ٢٦٤ ﴾ ، و ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط / الأنفال ـ ٤٧ ﴾ . كما أن عقيدة الحب هي أروع ما في المسيحية من قيم جميلة كثيرة ، وتسمح بأن تنعت المسيحية بأنها دين المحبة ، فمن لا يعرف المحبة فيها لا يعرف الله : « أيها الأحباء لِيُحِبَّ بعضنا بعضاً فإن المحبة من الله ، ومن لا يحب فإنه لا يعرف الله ، لأن الله محبة / رسالة القديس يوحنا الأولى ٤/٧و٨ » .

بل إن الدعوة إلى المحبة في المسيحية تتجاوز المألوف البشري ، لأن تبادل المحبة فقط أمر عادي ولا يعني شيئاً في عرف المسيحية : « فإنكم إن أحببتم من يحبكم فأيُّ أجر لكم / متى ٦ـ٤٦ » ؛ ذلك أن المحبة الحقيقية يجب أن يتسع مفهومها ليشمل لا الأعداء والمبغضين فحسب ، بل ليقترن بالإحسان إليهم والدعاء لهم : « أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم / متى ٤٤/٦ » .

وكما أن المسيحية دين المحبة ، فالإسلام كذلك دين الحب ، والرسول ﷺ جعل الحب مرقاة إلى الجنة : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تَحابّوا » [١] ، وجعل المحبة من تمام الإيمان : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [٢] ، والمحبة في الإسلام يجب أن تشمل لا المسلمين وحدهم بل الناس جميعاً : « أَحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً »[٣] .

أما الرحمة فإنها أمر أساسي في عقيدة المسلمين وفي عقيدة النصارى معاً ، ففي الإسلام يسمي ا لله نفسه بالرحمن وبالرحيم ، وقد كتب على نفسه الرحمة : ﴿ قل : لمن ما في السموات والأرض ، قل : لله . كتب على نفسه الرحمة / الأنعام ـ ١٢ ﴾

ومن صفاته التي تذكر دائماً في القرآن أنه تعالى « ذو الرحمة » : ﴿ وربك الغني ذو الرحمة / الأنعام ـ ١٣٣ ﴾ ، وفي الأحاديث « إنما يرحم ا لله من عباده الرحماء » [٤] و « لا يرحم ا لله من لا يرحم الناس » [٥] و « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » [٦] .

وللرحمة في المسيحية مساحة واسعة لصلة الرحمة بالحب : « طوبى للرحماء فإنهم يرحمون / متى ٥ـ٧ » ، و « إن الدينونة بلا رحمة تكون على من لا يصنع رحمة ، والرحمة تفتخر على الدينونة / رسالة القديس يعقوب /٢/ ١٢+١٣ » ، و « الويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيّون المراؤون ، فإنكم تعشّرون النعنع والشبث والكمون ، وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والإيمان / متى /٢٣ /٢٣ » .

---

[١] سنن الترمذي : الحديث رقم ٢٦٨٨ ج٥ ص٥٢ وسنن ابن ماجة الحديث رقم ٦٨ ج١/ص٢٦ .

[٢] صحيح البخاري (كتاب الإيمان ـ الباب ٧ ج١/ص١٧) وسنن ابن ماجه الحديث رقم ٦٦ ج١/ص٢٦ .

[٣] سنن الترمذي الحديث رقم ٢٣٠٥ ج١/ص٥٥١ .

[٤] صحيح البخاري كتاب الإيمان الباب ٩ (صحيح مسلم كتاب الجنائز الباب ٩ + ١١) .

[٥] صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ٢ .

[٦] سنن الترمذي الحديث رقم ١٩٢٤ ج٤/٣٢٣ .

أما العدل فهو ملح الأرض ، وبدونه لا تستقيم الحياة السليمة في الكون ، وقد حضت الشرائع السماوية على العدل والإنصاف ، فالعدل في الإسلام مأمور به من الله سبحانه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي / النحل - ٩٠ ﴾ ، ويأمر الناس بالحكم به : ﴿ وإذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل / النساء - ٥٨ ﴾ ، وهو مطلوب في التعامل حتى مع الأعداء : ﴿ ولا يجرمنكم شنآنُ قوم على ألاّ تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى/ المائدة - ٨ ﴾ . ومن السبعة الذين يظلّهم الله بظله يوم القيام « إمام عادل »[1] .

وفي النصرانية العدل مطلوب ومُرَغَّب فيه : « ولماذا لا تحكمون بالعدل من تلقاء أنفسكم / لوقا ١٢/٥٧ » ، و « أحبوا العدل يا قضاة الله واعتقدوا في الرب خيراً والتمسوا بقلب سليم »[2] .

ومن إيجابيات السلوك الأخلاقي في الإسلام والمسيحية الأمر ببرّ الوالدين وذوي القربى ، ففي المسيحية نجد في الإنجيل « أكرم أباك وأمك / مرقس ١٠/١٩ ومتى ١٥ » ، ونجد من بين الوصايا العشر الوصية التي تقول : « أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض »[3] .

كما نجد في رعاية الأقربين : « فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك ، وهذه هي الدرجة الأولى ، والثانية التي تشبهها أحبب قريبك كنفسك / مرقس /١٣-٣٠-٣١ » .

وفي الإسلام حضٌّ مستمر على البر بالوالدين وبذوي القربى ؛ ففي بر الوالدين ، نجد آيات وأحاديث كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا / النساء ٢٦ ﴾ ، و منها : ﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمه

---

(1) انظر الحديث في صحيح البخاري - كتاب المحاربين باب ٤ ج٨/٢٩٢ .

(2) العهد القديم - سفر الحكمة - الفصل ١/١٣٩ .

(3) العهد القديم - سفر الخروج ٢٠/١٢ .

وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك . إليّ المصير / لقمان ـ ١٤ ﴾ ، ومنها كذلك : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغَنَّ عندك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا / الإسراء ٢٣+٢٤ ﴾ ونذكر في الموضوع نفسه قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجُنُب ، والصاحب بالجنب وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورا / النساء ـ ٣٦ ﴾ .

النهي عن المنكر :

وإذا كان الأمر بالمعروف ، والدعوة إلى عمل الخير من جلائل القيم التي تبشر بها الأديان ، فإن النهي عن المنكر ومحاربة الشر يُرْصدان في طليعة هذه القيم دفعاً للأذى عن الناس . ويركز الدينان الإسلامي والمسيحي على النهي عن مقارفة المنكر ، وتكاد تكون وجوه الشر التي يحاربها أيّ من الدينين هي نفسها في الدين الآخر ، فكلاهما يحارب الفساد والإثم والفسوق والفحشاء والزنا والشذوذ واسترجال النساء وتخنث الرجال والسكر والشتم وقول الزور والغش والحنث بالأيمان والسرقة والقتل والبخل والكنز والتكبر والجهل ، لا فرق في ذلك من حيث الاعتقاد بين ما يدعو إليه الإسلام وما تدعو إليه المسيحية ، والنصوص الإسلامية في محاربة هذه المنكرات كثيرة وصريحة ، فالفساد من الأمور التي يكرهها الله ﴿ والله لا يحب الفساد / البقرة ـ ٢٠٤ ﴾ ، والمفسدون في الأرض لهم أشد العذاب : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتّلوا أو يُصَلّبوا أو تُقَطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض . ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم / المائدة ـ ٣٣ ﴾ .

والإثم والفواحش محرّمة في شرع الله : ﴿ قل إنما حَرّم ربي الفواحش ما ظهر منها ، وما بطن ، والإثم .. / الأعراف ـ ٣٣ ﴾ ، و ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي / النحل ـ ٩٠ ﴾ ، و ﴿ ولا تقربوا

الفواحش ما ظهر منها وما بطن / الأنعام /١٥١ ﴾ ، أما الزنا فهو من أكبر الفواحش عند الله وعند الناس ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا / الإسراء ـ ٣٢ ﴾ . ومن صفات عباد الله الأتقياء أنهم بعيدون عن الزنا ، ومن قاربه ناله شديد العذاب ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلَهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يُضاعَفْ له العذاب يوم القيامة ويخلّدْ فيه مهانا / الفرقان ـ ٦٨-٦٩ ﴾ ، وفي حديث رسول الله ﷺ : « فالعينان تزنيان وزناهما النظر » [1] .

أما الشذوذ فهو محرم ومستنكر: ﴿ ولوطا إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون . أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء . بل أنتم قوم تجهلون / النمل ـ ٥٤ ـ ٥٥ ﴾ ، أما محاولة الظهور بصورة غير التي خلق الله الإنسان عليها فهي مستقبحة وأصحابها ملعونون ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله المتشبهات بالرجال من النساء والمتشبهين بالنساء من الرجال » [2] . أما السكر والخمر والميسر فهي من الموبقات التي حذر الإسلام منها ونهى عنها : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه / المائدة ـ ٩٠ ﴾ . وأما السب والشتم فهما من المعايب الإنسانية « سباب المؤمن فسوق » [3]

وقد حذر الإسلام من مغبة الاستهزاء بالناس والسخر منهم ، وكذلك من الغمز واللمز والتنابز بالألقاب ، فقد يكون الملموز والمستهزأ به أفضل عند الله من أولئك الذين نعتوه بتلك الألقاب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن

---

[1] مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٢٤٣ .

[2] سن الترمذي الحديث رقم /٢٧٨٤/ كتاب الإيمان الباب ٣٤ ج٥ص١٠٥ ، وسنن ابن ماجه الحديث رقم /١٩٠٤/ كتاب النكاح الباب ٢٢ ج١ص٦١٤ .

[3] صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان الباب ٣٦ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ج١ /٣٣/ وصحيح مسلم كتاب الإيمان ١/٥٨ .

يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان / الحجرات ـ ١١ ﴾ ، وقد حذر ا لله سبحانه من قول الزور لما يترتب عليه من إفساد وإضرار ﴿ واجتنبوا قول الزور / الحج ـ ٣٠ ﴾ وعباد الرحمن المخلصين ينأون عن قول الزور : ﴿ والذين لا يشهدون الزور / الفرقان ـ ٧٢ ﴾ .

أما من قارف الغش فقد برئت منه ذمة النبي الكريم : « من غش فليس منا » [1] ، و « من غش فليس مني » [2] ومثله قوله ﷺ : « ليس منا من غش » [3] .

وللحانثين بأيمانهم وللحانثين بإثمهم في الإسلام عذاب عظيم : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، في سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم / الواقعة ـ ٤١ـ٤٦ ﴾ ، والسرقة من الكبائر وعقابها في الدنيا عظيم ، ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا / المائدة ـ ٣٨ ﴾ . ومن المحرمات التي نهى الإسلام عنها القتل لخطورته على الحياة البشرية : ﴿ من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً / المائدة ـ ٣٢ ﴾ . وهناك نعوت يتصف بها بعض الناس ، وهي تجانب الكمال الإنساني الذي فطر ا لله الناس عليه ، والاتصاف بها ينحطّ بصاحبه عن قيمته الإنسانية وكأنه يحمل معه صفات من المنكر مستمرة استمرار حياته ، ومن ذلك الحرص والبخل والكنز ﴿ ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم ا لله من فضله هو خير لهم ، بل هو شر لهم ، سيُطَوّقون ما بخلوا به يوم القيامة / آل عمران ـ ١٨٠ ﴾ ، وقال رسول ا لله ﷺ : « إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح » [4] ، والكانزون لأموالهم دونما

---

[1] سنن الترمذي : الحديث رقم /١٣١٥/ كتاب البيوع باب ٧٢ (٥٩٧/٣) .

[2] صحيح مسلم كتاب الإيمان ٦٩/١ .

[3] سنن ابن ماجه : الحديث رقم /٢٢٢٤/ كتاب التجارات الباب ٣٦ ج٧٤٩/٢ .

[4] سنن ابي داود : كتاب الزكاة ـ باب في الشح ١٣٧/٢ .

إنفاق مبشرون بأشد العذاب : ﴿ .. والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم / التوبة ـ ٣٤ ﴾ .

أما الكِبْر والتعالي على الناس فهما من الأمور المستنكرة : ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهوُن بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق / الأحقاف ـ ٢٠ ﴾ ، و ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثْوى المتكبرين / الزمر ـ ٧٢ ﴾ . وقال النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » [1] ، والجهل بمعنييه ، جهل العلم والمعرفة ، وجهل الطيش منهي عنه أيضاً لأنه بمعنييه ، لا يؤدي إلى النتائج الطيبة والخيّرة بل إلى كثير من الشرور والآثام : ﴿ قال : يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين / هود ـ ٤٦ ﴾ ، ومن دعاء الرسول ﷺ في الموضوع نفسه قوله : « اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي » [2] .

وكل هذا الذي أشرنا إليه من المنكرات المنهي عنها هو قُلٌّ من كلّ مما جاء به الإسلام ، ومما جاءت به المسيحية أيضاً ، والمنكرات التي تعرض لها الإسلام بالنهي ، لها مثيلها في النصرانية ، فهي ترفض المنكرات والموبقات وتحاربها ، وترى أن الشر والأعمال السيئة إنما تصدر عن خبيثة نفس سيئة : « .. لأنها من الداخل ، من قلوب الناس تنبعث الأفكار الرديئة . الزنا ، الفجور ، القتل ، السرقة ، الحرص ، الخبث ، الغش ، العهارة ، العين الشريرة ، التجديف ، الكبرياء ، الجهل ، جميع هذه الشرور تنبعث من الداخل فتنجس الإنسان / مرقس ٧-٢١ وما بعدها » . ونلاحظ في تعداد هذه المنكرات تماثلاً مع ما جاء في الإسلام حولها ، و لم تكتف المسيحية بشجبها على أنها وسائل شر وإيذاء ، وإنما نهت عن مقارفتها : « وإذا برجل دنا إليه وقال : أيها

---

[1] سنن ابن ماجه : الحديث رقم ٣٨٦٦ المقدمة /٩ (٢٣/١) .

[2] سنن ابن ماجه : الحديث رقم٣٨٨٤ كتاب الدعاء / الباب ١٨ (ج١٢٧٨/٢) .

المعلم الصالح : ماذا أعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية ، فقال له : لماذا تسألني عن الصلاح ؟ إنما الصالح واحد وهو الله ، ولكن إن كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ؛ فقال له : وما هي ؟ قال يسوع : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ، أحبب قريبك كنفسك / متى ١٩ - ١٦ وما بعدها . وانظر مرقس ١٠/١٧ وما بعدها » ؛ ويتكرر ذكر المنكرات المنهي عن مقارفتها تكراراً يلفت النظر في الأناجيل تأكيداً على مدافعتها والنهي عنها ، فالزنا المنهي عنه يشمل ، كما في الإسلام ، حتى زنا النظر : « قد سمعتم أنه قيل للأولين : لا تزن ، أما أنا فأقول لكم : إن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنا بها في قلبه / متى ٥-٢٧ » وما بعدها ، والحنث باليمين مرفوض في النصرانية كما هو مرفوض في الإسلام : « قد سمعتم أيضاً أنه قيل للأولين ، لاتحنث ، بل أوفِ للرب بأقسامك / متى ٥-٣٣ » ؛ وكنز الأموال مرفوض في المسيحية أيضاً : « لا تكنزوا لكم كنوز الأرض حيث يُفسد السوس والأكلة ، ويَنْقُبُ السارقون ويسرقون لكم . اكنزوا لكم كنوزا في السماء ، حيث لا يُفسد سوس ولا ينقب السارقون ولا يسرقون / متى /٦-١٩ وما بعد » .

وتستنكر المسيحية أشد الاستنكار الشذوذ الجنسي لدى الرجال ولدى النساء ؛ نسمع ذلك في رسالة القديس بولص إلى أهل رومة ، متحدثاً عن اليهود : « .. الذين أبدلوا حق الله بالباطل واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك مدى الدهور .. آمين . لذلك أسلمهم لله إلى أهواء الفضيحة ، فإن إناثهم غيّرن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة وكذلك الذكران أيضا تركوا استعمال الأنثى الطبيعي والتهبوا بعشق بعضهم بعضاً ، ففعل الذكران بالذكران الفاحشة ونالوا في أنفسهم الجزاء اللائق بضلالهم / ١-٢٥ وما بعد » . وفي الرسالة نفسها يركز على تعداد المنكرات والموبقات ، وينعت أصحابها بأقبح النعوت ويذكرهم بالعقوبات التي تنتظرهم ، ومنها الموت ، وذلك بقوله : « وبما أنهم لم يؤثروا أن يستمروا على معرفة الله أسلمهم الله إلى رأي مرذول حتى يعملوا ما لا يليق ، ممتلئين من كل إثم وشر وزنا

وبخل وخبث ، مفعمين حسدا وقتلا وخصاماً ومكراً وإساءة ، نمّامين مغتابين متكبرين مفتخرين ، مخترعين شروراً . عاقين للوالدين ، لا فهم لهم ولانظام ولا ود ولا عهد ولا رحمة ، وهم مع معرفتهم قضاء الله لم يفهموا أن الذين يفعلون مثل هذه يستوجبون الموت ، وليس الذين يعملونها فقط ، بل أيضاً الذين يرضون عن فاعليها / ١ ـ ٢٨ وما بعد » .

وفي رسالة أخرى للقديس بولص ، نفسه هي رسالته إلى أهل كورنتس يضرب فيها على الوتر نفسه من الوعظ ، ومن تحذير الناس من ارتكاب المعاصي التي يركز على رصدها وتعدادها ، وعلى آثارها السيئة على الناس ، والتي يحذّر من العقوبات الأخروية التي تنتظر فاعليها : « ألا تعلمون أن الأثمة لا يرثون ملكوت الله ، لا تضلوا فإنه لا الزناة ولا عبّاد الأوثان ولا الفسّاق ولا المفسدون ولا مضاجعو الذكران ، ولا السارقون ولا البخلاء ولا الخطفة يرثون ملكوت الله / ٦/٩ وما بعد » .

المسيحية والغرب المسيحي

هناك مسلّمة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار دائماً ، وهي : « إن الدين – أيّ دين – ليس هو الأتباع والمعتنقين » وبالتالي فإن تصرفات أبناء أيّ دين يجب ألاّ تنسحب على الدين نفسه ، وعلى كل منصف أن يميّز بينهما . وعلى هذا فإن تصرفات بعض المسلمين البعيدة عن الإسلام يجب ألاّ تنسحب على الإسلام نفسه ، وكذلك فإن تصرفات بعض المسيحيين البعيدة عن المسيحية يجب أن لا تنسحب على المسيحية نفسها .

وفي حديثنا عن الغرب المسيحي ، علينا نحن المسلمين أن نلتزم بهذه المسلمة في أحكامنا على مواقفه ضد الإسلام والمسلمين . إذ لا يجوز أن ننحل هذه المواقف إلى المسيحية ؛ المسيحية دين الله الذي علمه لعيسى والذي قام بتبليغه إلى البشر ، وإذا أخطأ بعض أو كثير من أتباعها فلا تُحَمَّل هي وزر هؤلاء المخطئين ، لأن أتباعها بشر يملكون القدرة على الخير وعلى الشر ، وعلى الحق وعلى الباطل ، والبشر غير معصومين ، بل إن بعض رجال الكنيسة أنفسهم إذا وقفوا بعض المواقف المعادية فإن على المسلم أن يتذكر أن هؤلاء الرجال ليسوا هم المسيحية حتى ولو كانوا من رجال الكنيسة ، لأن الكنيسة تتكون من بشر معرّضين للخطأ ، وقد أدان القرآن الكريم بعض المسيحيين كما مدح آخرين مدحاً عظيماً [1].

هذه المقدمة من المقولات والآراء ضرورية جداً حين نود أن نتحدث عن الغرب المسيحي ، هذا الغرب الذي جرّع الإسلام والمسلمين كؤوساً مريرة من الظلم والتجنّي ، والذي أذاقنا أفانين من المآسي والعذاب ، هذا الغرب هو الذي نريد أن

---

[1] انظر « الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ، ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة » بحث للدكتور اسماعيل الفاروقي - ألقي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ونشر في كتاب : بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ص : ٢٨٨ .

نتحدث عنه لا من باب نَكْءِ الجراح وإثارة المواجع وتجديد الحزازات ، بل من باب كشف واقع لا يقبله منصف ولا يرتضيه صاحب دين ، تنويراً لأصحاب الضمائر الحية في الغرب نفسه ، وما أكثرهم ، ليطلع منهم من جهل بعض الوقائع ومن غابت عنه بعض الحقائق ، على ما جرى وعلى ما يجري .

ولذا فإن الموضوعية تقتضي وضع النقاط على الحروف دون مجاملة أو إحراج من جهة ، ولكن دون تجنٍّ أو حنَفٍ من جهة أخرى ، ليكون المنصفون ممن يرغبون في تحرّي الحقائق قادرين على إصدار الأحكام الصحيحة . ولا شك أن مثل هؤلاء ، إذا اطلعوا على الحقائق ، وإذا تحصلت لديهم القناعات ، كانوا قادرين ، لا على الاستنكار وحسب ، وهو جانب سلبي في المواقف . بل على اتخاذ القرارات والتزام المواقف الإيجابية التي تتصدّى لظاهرات الخطأ ، كان مرتكبوها من كانوا ، وكانت دوافعها وأسبابها ما كانت . هذا الغرب الذي نود الحديث عنه معظمه من النصارى ، وهم أهل كتاب ، وهنا علينا أن نتذكر ما بسطنا الحديث عنه ، في صفحات سابقة عن أهل الكتاب وأهل الذمة فالمسلمون مرتبطون مع أهل الذمة ، وهم مواطنونا من أهل الكتاب ، بعهد عقده رسول الله ﷺ لهم جعلهم فيه في ذمته ، وكلٌّ مسلم ، مكلف بموجب هذه الذمة ، وعلى استمرار الزمان ، برعايتهم ، بل بالتصدى لكل من يحاول المساس حتى بمشاعرهم ، لا من قبل المسلمين وحدهم ، بل من قبل من يعاديهم من غير الديار الإسلامية إذا ما حاول أن ينالهم بأي لون من الأذى .

أما أهل الكتاب من غير أهل الذمة ، وحيث كانوا في بلاد الله الواسعة ، فإن النصوص الإسلامية كلها تدعو إلى حسن التعامل معهم ما داموا لا يناصبون المسلمين العداء ، بل إن هذا التعامل الحسن ينسحب لا عليهم فحسب بل على الناس جميعاً مهما كانت انتماءاتهم ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم / الممتحنة - ٨ ﴾ .

إن أهل الغرب ، وكلهم من أهل الكتاب ، إلا ما ندر ، ومعظمهم من النصارى ، إن أهل الغرب هؤلاء يقفون من الإسلام ومن المسلمين موقفاً عدائيّاً وعدوانياً مستمراً ، دون أن يكون لذلك أي سند أو مبرر من أيّ عرف من أعراف التعامل ، حتى إن الحروب في مألوف البشر ، وبغض النظر عن أسبابها ودوافعها ، حين تنتهي تنتهي معها آثارها ، وغالباً ما تبدأ بعدها صفحات جديدة من التعاون الجاد والمثمر ، وأمامنا مثال حيّ على ذلك هو هذا التوحّد الذي نشهده الآن في أوربا ، والذي جمع دولاً أوربية كانت حتى عهد قريب تتفانى في حروب طاحنة استمرت قرونا ، وخُتمت بحربين عالميتين حصدتا أرواح مئات الملايين من البشر ، وقد تناسى الناس بعدها أحقاد الماضي وشروره ، وفتحوا قلوبهم لعهود جديدة من الصفاء ومن التعاون . هذا مثال للاعتبار علماً بأن ما بين الإسلام والنصرانية لم يكن يوماً قائماً على عداء ؛ الأمر الذي يجعل عدوان الغرب المستمر على المسلمين أمراً مستغرباً وليس له ما يسوغه . إن أقسى ما يعانيه المسلمون من الغرب النصراني هذا الظلم المستمر عليهم ، والذي لم تخمد جذوة حقده على مر السنين ، والذي يتجلى في صور مرعبة من الحروب وما يصحبها من تقتيل وتدمير ، ومن الاحتلال ونهب الثروات ، ومن التجنّي على الإسلام وعلى نبيّ الإسلام بمفتريات تتجند لنشرها طاقات ومؤسسات دون وازع من دين أو من ضمير .

كثير من قادة الغرب يَدَّعون أنهم إنما يفعلون ذلك بدافع من نصرانيتهم ودفاعاً عنها . ومثل هذا الادعاء يمثل زيفاً يجانب الحقيقة ، وهدفه تغطية مآرب ومكاسب دنيوية ، والنصرانية منها ومن أصحابها براء ، لأن النصرانية دين محبة وتسامح وتعال عن صغائر الدنيا : « اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لمن أساء إلينا / متى ٦-١٢ » . و « صلوا لأجل من يُعنتكم ويضطهدكم / متى ٥-٤٤ » و « أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم / لوقا ٦-٢٧ » . فإذا كانت النصرانية تدعو إلى غفران إساءات المسيئين وإلى الإحسان إلى المبغضين وإلى الدعاء إلى الظلمة والمضطهدين ، فإن أيّ محاولة لتبرير مقارفة ما يخالف هذه القيم في حق أيّ من الناس أمر مرفوض في أعراف

وتعاليم هذا الدين نفسه ، وإذا كان هـذا شأن النصرانيـة مع الأعـداء والخصـوم ، فإن شأنها مع الإسلام ، وهو أقرب الأديان إليها ، وهو الدين الوحيد الذي يمجّد نبيّها عيسى ويقدّس أمه الصديقة البتول ، فإن شأنها مع الإسلام يجب أن يكون على غير ما يقترفه الغرب تجاه الإسلام ونبيّه ومعتنقيه . إن دعاوى الغرب بمؤسساته المختلفة في تبرير مواقفه العدائية من الإسلام والمسلمين ليس له سند من شرعية أو منطق أو حق ؛ ذلك أن هذا الغرب قد ابتعد بمعظمه عن روح الدين ، وأباح لنفسه ارتكاب ما حرّمته النصرانية من ابتذال وانحلال واستهتار بالقيم الأصيلة التي هي من صلب المعتقدات الدينية .

هذا ، ولا بد من التأكيد على أن مآسي الغرب ضد الإسلام والمسلمين لا يسوغ معها لأي مسلم أن يحمل المسيحية وزرها ، ولا أن يقابل الضغن بالضِغْن . وإذا كنا مضطرين إلى التذكير بها ، في صدد الحديث عن التعامل ، فإن الهدف الذي يرجو المسلمون تحقيقه من هذا التذكير ، هو العودة إلى الحق بمحاولة الفهم الصحيح للإسلام . ومن ثم وقف العدوان من جهة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي بنيت على أكاذيب ومفتريات لا أساس لها من الحقيقة أو الواقع من جهة أخرى .

هذا ، وإحقاقاً للحقّ ، يجب أن نشير إلى أن كثيراً من الأصوات المنصفة ، صدرت عن ضمائر صافية لعلماء ورجال دين من النصارى ولمؤسسات كنسية ، لها اعتبارها الشديد لدى النصارى ولدى المسلمين ، وبدأت تندّد بالمخازي التي ارتكبها كثير من الغربيين ضد الإسلام والمسلمين ، وبدأت تدعو إلى ألوان من الحوار الجاد بغية فهم أعمق لبعضهم بعضاً ، وصولاً إلى تصفية رواسب الماضي ، وفتح صفحات جديدة من التعاون للوقوف في وجه تيارات الإلحاد والعلمانية والفساد . وهذه توجهات منصفة نقدر أصحابها ونُجلّهم ، وسنفتح صفحة من بحثنا هذا تقديراً لها وتشجيعاً لجميع المخلصين الصادقين من المسلمين والنصارى على الاستجابة لها ، رغبة في تعزيز المثل العليا والقيم الرفيعة التي تدعو لها كل الأديان .

وفي عودة إلى حديثنا عن الغرب المسيحي ، نحدد لونين من العدوان على المسلمين مستمرين منذ مئات السنين : عدواناً مادياً بالحرب والنهب والاستغلال واحتلال الديار ، وعدواناً فكرياً بإلصاق مفتريات مفضوحة ضد الإسلام وضد نبيّ الإسلام .

إن عرض نماذج من هذين اللونين من العدوان ، يهدف إلى تبصير العالم الغربي بخاصة بما جرّه على المسلمين من ويلات عسى أن يدرك ما ارتكبه ، وعسى أن يكفّر عما ارتكبه ، وهذان اللونان اللذان سنتناولهما بالحديث يقعان عبر فقرتين ، هما :

١ ـ العدوان

٢ ـ البهتان

١

العدوان

عدوان الغرب المادي قديم ومتطاول ، وقد تجاوز كل حد يعرفه البشر ، ولكي نكون موضوعيين في ما نعرض من مواقف هذا الغرب ضد القيم الإنسانية وضد قيم النصرانية فإن عرض نماذج محدودة وموثقة من وقائع التاريخ ضد المسلمين وعبر مئات السنين دونما مبرر من حق أو سند من دين أو شرعية ، يساعد على جلاء أهدافها الظاهرة والمستترة ، ونكتفي بعدد محدود من هذه الوقائع ومنها :

حروب الفرنجة : (من ٤٨٨ هـ /١٠٩٥م حتى ٦٦٩هـ / ١٢٧١م)

آثرنا أن نطلق على هذه الحروب ، اسم (حروب الفرنجة) ، وهي التسمية التي أطلقها عليها المسلمون ، الذين اكتووا بنارها قرابة مائة عام . وأعرضنا عن التسمية التي أطلقها عليها قادة حَمَلاتها من الغربيين ، حين نحلوها اسم (الحروب الصليبية) ، وهي التسمية التي درج على استخدامها معظم من كتبوا عنها من المسيحيين ، وتابعهم في ذلك المتأخرون من مؤرخي المسلمين . ولعل المسلمين الذين عاصروها ، والذين أُجبروا على خوض غمارها كانوا حريصين على النَأي بها عن معاني الصراع الديني ، حين سموها (حروب الفرنجة) .

إن هذه الحروب ، بتفاعلاتها المختلفة ، غدت جزءاً من التاريخ يستحيل تغييبه ، وحين تكون هناك ضرورة للحديث عنها ، يجب أن يحاط هذا الحديث بالموضوعية ، وبالإنصاف ، تجنباً لردود فعل ، ليست في صالح أيّ عمل تعاوني . وهذا ما سنحرص عليه في هذا العرض .

في حديثنا عن هذه الحروب لن نُفيض في ذكر حملاتها ، وتفصيلاتها ، انسجاماً مع منهج الكتاب ، وسنقتصر على نُبَذ وإشارات ذات دلالات ، وسيكون معظمها مُقتبساً من أقلامٍ نصرانية ، وسنحاول تحليل دوافعها بإيجاز وموضوعية .

كانت أوربا التي اندفعت منها جيوش تلك الحروب، تعيش في شبه عزلة عن العالم ، وكان الجهل هو السائدَ في معظم ربوعها ، كما كانت الثقافة محدودة ، وكانت الظروف الاقتصادية في غاية التردّي . وكانت الأخبار التي ترد من الشرق ، عن المسيحيين ، وعن الأماكن المقدسة قليلة ، ولكنها مشوَّشة ومغلوطة ، وفيها كثير من التهويل حول وضع المسيحيين ، وحول مزاعم الانتهاكات التي كانوا عرضة لها ، وكانت الظروف الفكرية والثقافية والاقتصادية تساعد على ترسيخ هذه المعاني في نفوس الغربيين ؛ الأمر الذي أثار عواطف المسيحيين من الغيورين على دينهم ، والذي حرك حماستهم وشحذ هِمَمَهم للإنقاذ . وفي موعظة البابا أوربان الثاني (١٠٤٢ / ١٠٩٩) التي ألقاها في مجمع (كليرمونت) عام ١٠٩٥ دعا إلى إنقاذ المسيحيين والأماكن المقدسة [1] ، وكان لهذا النداء استجاباتٌ سريعةٌ أفرزت الحملةَ الصليبيةَ الأولى ، التي قادها بطرس الناسك ومن معه ، بمشاعر ملتهبة ، وبنيّات صادقة ، بهدف إنقاذ الأماكن المقدسة من العبث المزعوم .

غير أن الأمور تبدّلت في ما بعد واختلطت النوايا ، ودخل على المشروع مغامرون وطامعون ممن كانوا أبعد ما يكونون عن الإيمان ، وعن الدين ، فكان ما كان .

وبعيداً عن تفاصيل هذه الحروب ، يستطيع الباحث أن يسجل من خلالها ، مجموعة ملاحظات ، تؤكد أنها ، في مجرياتها ، لم تكن حروباً لخدمة النصرانية ، كما يدّعي منتحلوها ، اللهم ما عدا في بداياتها ، ونكتفي من ذلك بالملاحظات التالية :

---

[1] انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ١١٠.

١ ـ الحوافز التي حرّكت هذه الحروب لم تكن دائماً حوافز دينية ، بل كان كثير منها ، محكوماً بأطماع سياسية واقتصادية ، حركها ما كان يسمعه الغرب عن خيرات الشرق المتحضّر وثرواته ، ويؤكد ذلك أن قادة أكثر الحملات كانوا من الملوك والأمراء من عدد من البلاد الأوربية (انكلترا وفرنسا وألمانيا) ، باستثناء الحملة الأولى التي قادها أول من قادها بحماسة دينية بطرس الناسك ، ثم تبعه في الحملة نفسها جيش منظم بقيادة رايموند الرابع كونت طولوز ، وغودفري بويّون وبهمند أمير طارنط (تورنتو) وابن أخيه تانكرد . ثم توالت جميع الحملات بقيادة أمثال هؤلاء الساسة والحكام . وكان تعامل هؤلاء الغزاة ، حيث مروا وحيث استقروا في البلاد الأوربية أو في البلاد الإسلامية ، يمثل البطش والجور والبعد عن أيّ قيم دينية أو إنسانية ، إذ لم يوفروا إنساناً من ظلمهم ، سواء أكان نصرانياً أو يهودياً أو مسلماً ؛ الأمر الذي يكذب ادعاءات كثير منهم في الدفاع عن الصليب .

٢ ـ في الحملة الصليبية الأولى ، استهل المحاربون أعمالهم التعسفية في أوربا نفسها ، حيث قاموا بذبح عدد كبير من اليهود في أراضي الراين . وفي مرورهم في بلاد البلغار والمجر أثاروا أهلها من النصارى بألوان من الاعتداءات ، حتى حملوهم على مهاجمتهم وتشتيت كثير من جموعهم [1] .

٣ ـ في الحملة الرابعة ؛ تعاون قادة الحملة مع البنادقة في استرداد مدينة (زارا) من المجر ، وهي مدينة كانت تابعة للبندقية ، وتقع الآن في الأراضي اليوغسلافية على الأدرياتيك ، ولكن جنود هذه الحملة نهبوا هذه المدينة بعد استردادها ؛ الأمر الذي أثار سخط البابا الشديد عليهم . واتجه الصليبيون بعدها إلى القسطنطينية بحجّة إعادة (إسحق الثاني) إلى العرش ، وتم لهم اقتحام المدينة ونهبها واقتسام

---

[1] انظر الموسوعة العربية الميسرة ٧٠٩/١ .

غنائمها مع البندقية سنة ١٢٠٤ ، وأسسوا فيها الامبراطورية اللاتينية التي بقيت حتى سنة ١٢٦١ [1] .

٤ ـ ولاحقاً للحملة الرابعة قامت حملة سميت (حملة الأطفال) دعا إليها صبيٌ فرنسي فلاح يدعى (ستيفن كُلُوي) ، وتوجه آلاف الأطفال معه ، ولكن ربابنة السفن المستهترين باعوهم بيع الرقيق ، ولم يصل واحد منهم إلى هدفه [2] ، وربابنة السفن هؤلاء من النصارى ، والذي فعلوه كان مع الأسف مع صبيان النصارى .

٥ ـ « ألكسيس كومنين امبراطور الدولة البيزنطية كتب إلى السلطان محمد السلجوقي يستعديه على الصليبيين لما رآه منهم من سوء النية ، كما بعث إلى السطان بكثير من الهدايا والتحف ، وأنفذ إليه الكتب يطلب إليه الإيقاع بالفرنجة ويعرض عليه اتفاق القوات البيزنطية والإسلامية على طردهم ، ويشير من طرف خفي إلى نواياهم في قصد بلاده » [3] . وواضح من هذا النص أن امبراطور بيزنطة المسيحي كان نفسه متخوفاً من الصليبيين ، يؤكد هذا التخوف ما ذكرته ابنته المؤرخة (أنّا كومنين) عن ابتعاد هؤلاء الغزاة كل البعد عن المسيحية ، حين قالت : « فلم يكونوا إلا برابرة أجلافاً وطغاماً طامعاً جائعاً لم يحمل إشارة الصليب إلا طمعاً في الغنيمة » [4] .

٦ ـ بعد استرداد بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، خرج الكثيرون منها يريدون العودة إلى بلادهم ، وأرسل صلاح الدين معهم من يصحبهم لحمايتهم . حتى وصلوا أنطاكية وطرابلس اللتين مازالتا في حوزة الصليبيين : « ويُروى أن

---

(١) انظر المصدر والصفحة نفسيهما .

(٢) انظر المصدر والصفحة نفسيهما .

(٣) نور الدين والصليبيون ص٥ .

(٤) نور الدين محمود ص٩١ .

فرنجة أنطاكية وفرسان كونت طرابلس استقبلوا بفتور إخوانهم القادمين من القدس ، ويذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا في بعض الحالات يقتلونهم ويجردونهم من أحمالهم ما أمكنهم ذلك ، ويمنعونهم من دخول مدنهم » [١]

٧ ـ حين احتل الصليبيون بيت المقدس (٤٩٢هـ /١٠٩٩م) قتلوا من أهلها أكثر من سبعين ألفاً [٢] .

٨ ـ حين نجح أموري في فتح بلبيس بعد حصار عنيف « أسرف في الانتقام من بلبيس بهدم بيوتها والتنكيل بأهلها ، وكأن له عندها ثأراً مبيّتاً ، وقتل كل من صادفه من النساء والشيوخ والأطفال بشهادة وليم الصورى وغيره من المؤرخين الصليبيين » [٣] .

٩ ـ وفي عكا التي كان يسيطر عليها ريكادوس (ريشارد قلب الأسد) ، ارتكب هذا القائد بجزرة في غاية البشاعة : « إذ أخرج المسلمين رجالاً ونساء عراة موثقين بالحبال وعددهم ثلاثة آلاف ، وأمر في ٢٠ آب (أغسطس) في الساعة الرابعة بعد الظهر مرتزقته الأفاقين بأن يقتلوهم ويلقوا بجثثهم الممثّل بها في الآبار الواقعة تحت تل العياضة أمام عكا ، وعلى مرأى من صلاح الدين المخيم قرب تل كيسان » [٤] .

---

[١] صلاح الدين الأيوبي ـ البطل الأنقى في الإسلام ص٣٥ .

[٢] انظر البداية والنهاية ١٥٦/١٢ والعبر في خبر من غبر ٣٦٥/٢ ومرآة الجنان وعبرة اليقظان ١٥٤/٣ وشذرات الذهب ٣٩٧/٣ .

[٣] نور الدين والصليبيون ص ١٢٣ .

[٤] صلاح الدين البطل الأنقى في الإسلام ص٣٣٢ .

استمرار روح الحروب الصليبية حتى العصر الحديث :

١ - في العصور الحديثة احتل الغربيون جميع البلاد الإسلامية ، ونهبوا ثرواتها ، وأجبروا شبابها على التجنّد في جيوشهم ، وفي الحروب كانوا يدفعون بهم إلى الصفوف الأمامية في ساحات القتال ، ليكون معظم الضحايا منهم ، توفيراً لما يمكن توفيره من أرواح شبابهم من الجنود الغربيين . والحربان العالميتان الأولى والثانية شاهدتان على ذلك ، وقد عرفت بلادنا إبّان هاتين الحربين أعداداً ضخمة من جنود الحلفاء من شباب أفريقيا ومن شباب الهند ممن كانوا يُقسرون على خوض حروب لا ناقة لهم ولا لبلادهم فيها ولا جمل .

٢ - بعد الحرب العالمية الأولى اقترف الغرب المسيحي ، ممثلاً بأقوى دولتين في العالم - انكلترا وفرنسا - أبشع غدر ضد العرب وأشنع عدوان عليهم ؛ ذلك أن العرب وقفوا معهم في الحرب ضد الدولة العثمانية المسلمة ، استجابة لوعود هؤلاء الحلفاء بمنحهم الاستقلال التام ، ولكن حلفاءهم الغربيين غدروا بهم ، ونَكَلوا عن العهود والمواثيق المبرمة معهم ، وتنكروا لحليفهم الذي قاد العرب في الحرب معهم وهو الشريف حسين أمير مكة ، ولعل عرض بعض صور هذا الغدر يزيد جلاء الحقد الكامن وراء تصرفاتهم :

آ - أول ما فعله هؤلاء هو مجازاة الشريف حسين بالسَوْأَى ، وطعنه في كرامته ، ومعاملته معاملة مهينة تأباها الأخلاق والأعراف والأديان فقد « تخلّوا عنه لابن سعود فاضطر للتنازل إلى ابنه علي سنة ١٩٢٥ ، وذهب إلى العقبة فرفض الإنكليز بقاءه فيها ، فاستقر في قبرص حتى ١٩٣٠ حيث لقي أجله » [1]

[1] الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية : ١/٥٠٤ (قسم / رسائل حسين مكماهون) .

ب ـ عقد الإنكليز والفرنسيون معاهدة (سايكس ـ بيكو) التي اقتسموا فيها بلاد الشام ، وفرضوا فيها الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، والانتداب الانكليزي على العراق وفلسطين ، ويكفي وصف المؤرخ المسيحي جورج انطونيوس لهذه المعاهدة حيث يقول : « إن اتفاقية (سايكس ـ بيكو) وثيقة مروعة ، فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوأ صوره حين يكون الجشع مقترنا بالرِيَب فيؤدي إلى الحماقة ، بل هي أيضاً صورة مرعبة للمخادعة والمكر »[1] . وحيث يقول أيضاً : « إن بريطانيا وفرنسا فرضتا على العرب تسوية انتهكت حرمة كل من الوعود الصريحة التي قطعت لهم ، والمبادئ التي أعلن الحلفاء أنها ستكون أسس السلم المقبل »[2]

ج ـ والأمر الأمرُّ والأدهى ، والذي شكل كارثة مستمرة أيضاً على العرب والمسلمين ، هو زرع جسم غريب في قلب ديارهم هو إسرائيل ، وكان ذلك بمساندة من خلال الانتداب ، ثم من خلال المحافل الدولية كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، حيث كرّس الغرب كل قواه لإقامة هذا الكيان ، وكان السند لكل هذه المقارفات ذلك الوعد الذي منحه الوزير الإنكليزي بلفور لليهود بالسماح لهم بإقامة وطن قومي في فلسطين ، إمعاناً في الغدر بالعرب ، وكان هذا الوعد متزامناً مع تنكر الحلفاء لمناصريهم العرب ، ومناقضاً لكل تعهداتهم السابقة لهم . ويذكر المؤرخ جورج أنطونيوس هذا العمل بكل المرارة وبكل الأسى حين يقول : « .. وفي الوقت نفسه التزمت الحكومة الانكليزية بتعهد آخر يناقض تعهداتها السابقة للعرب ، بعد عدة أشهر من المفاوضات المتتالية مع زعماء اليهود بإنكلترا ، وهذا التعهد هو ما عرف باسم (وعد بلفور الشهير) »[3] .

---

[1] يقظة العرب : ص ٣٥٣ .

[2] المصدر نفسه ص٣٨٦ .

[3] المصدر نفسه /٣٦٤ .

د ـ التحدّي الصريح للعرب والمسلمين من قبل قادة عسكريين غربيين ، دخلوا بجيوشهم بلاد الشام لتثبيت الانتداب الفرنسي والإنكليزي عليها ، حيث أعلنوا بعد قرابة ألف سنة من بداية الحروب الصليبية أنهم يكملون مسيرة تلك الحروب ، أعلنوا ذلك بالنص وبالتسمية ، حيث قال الجنرال أللنبي قائد الجيوش الانكليزية حين احتل مدينة القدس : « إن الحروب الصليبية تنتهي اليوم باسترداد الجنود الإنكليز المدينة المقدسة » [1] ، أما الجنرال غورو ، وبعد أن احتل لبنان ، قال في خطاب له ألقاه في بيروت سنة ١٩٢١ : « إنني سليل الذين دوّخوا هذه البلاد في غابر الزمن ، وقد أتيت إلى هنا لأتمم ما تركه أولئك الأبطال » [2]

وحين دخل سوريا أعلن أمام جموع من الناس تصريحه التالي : « إذا كنا قد جئنا كأحفاد للصليبيين فإننا أيضاً أبناء الثورة الفرنسية » [3] .

لم يستطع هذان القائدان الممثلان لأعظم دولتين غربيتين في هذا الزمن القريب ، أن يكتما مشاعر الحقد التي تتأجج في صدريهما ، فأعلنا بكل الوقاحة وبكل الاستهانة بمشاعر العرب والمسلمين أنهما يؤديان مهمة صليبية جديدة ، هي استمرار لتلك الحروب التي لم تُخمِدِ السنوات الطوال أُوارها في نفوسهم . لقد ضحّوا ، هم ودولهم ، بكل قيم الشرف والاستقامة والحفاظ على العهود استجابة لهذا الحقد المتأجج في نفوسهم .

هـ ـ هناك المخازي التي يندى لها وجه الإنسانية ، والتي حدثت تحت سمع العالم وبصره في السنوات الثلاث الأخيرة وحتى اليوم ــ في منتصف حزيران

---

[1] مرآة الشام وتاريخ دمشق وأهلها : ص ٢٧٢ .

[2] المصدر نفسه /٢٧١ .

[3] الجنرال غورو : بيير ليوتي (بالفرنسية) ص١٩٢ .
GOURAUD : Prerre Lyauty 192 - PARIS. JILLARP 26/4/1949

١٩٩٩ - في البوسنة والهرسك أولاً ثم في كوسوفو ، والتي نقلتها القنوات الفضائية لكل أصقاع العالم ، ولن نتحدث عن أهوالها فهي معروفة لكل إنسان ، وقد قام بها مسيحيون متعصبون ضد المسلمين في تلك الديار . لقد بادر الغرب بكتلتَيْهِ الأوربية والأمريكية ، وعبْرَ حلف الأطلسي ، إلى وقف هذه المجازر ، بالضرب على أيدي الصرب بغارات عنيفة ، دمّرت المراكز الأساسية في دفاعاتهم الحربية ، وفي البنية التحتية لكيانهم ، مع اتهام قادتهم بارتكاب جرائم حرب ، تجعلهم معرّضين للتقاضي الدولي . والسؤال : ما هو الدافع لهذا العمل الكبير ؟ هل هو لون من التكفير عن جرائم الصرب ضد المسلمين ؟ الجواب البديهي الذي يعرفه كل مطّلع هو : لا . وإنما هي تصفية حسابات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وتدمير مناطق نفوذ غير موالية ، وجرّها إلى نطاق التبعية .

والآن ، وفي فترة المعاصرة التي نعيشها ، وفي الوقت الذي انفتح فيه العالم على نفسه ، وغدا بحكم القرية الصغيرة التي يعرف ناسها بعضهم بعضاً ، وفي عصر المعرفة الموسوعية والإنترنت والقنوات الفضائية ، أصبح العالم كله صفحة مفتوحة أمام عيون كل مطلع ، نتساءل هل توقف مدّ العدوان الغربي على العرب وعلى المسلمين ، وعلى الرغم من الإيجابيات السابقة ؟ .

إن الغرب الآن ، وفي الولايات المتحدة الأميركية بالذات ، ومن خلال النظام العالمي الجديد (العَوْلَمة) ، يصعّد مواقفه العدوانية ، ويضع تصورات للخطط المستقبلية لمحاربة الإسلام تحت شعار (صراع الحضارات) ، وقد تجندت شخصيات وفئات من ذوي التأثير الفكري والسياسي والإعلامي لتكريس هذا التوجه ، نذكر منهم على سبيل المثال مفكّرَيْن تركت كتاباتهما في هذا الميدان دوياً على مستوى العالم هما « فرنسيس فوكوياما FRANCIS FUKUYAMA » الياباني الأصل في كتابه « نهاية التاريخ » ، والآخر صاموئيل بي هنتينغتون SAMUEL B HANTINGTON » في كتابه « الإسلام

والغرب ـ آفاق الصدام » . وكلاهمـا يعزف على وتر صراع الحضـارات ، سواء في كتابيهما أو في سواهما من البحوث والمحاضرات ، ويحصران هذا الصـراع بين الشمال والجنوب عموماً ، وعند التصريح يحصرانه على الخصوص بين النظام الغربي الليبرالي والإسلام . وقد ركزت وسائل الإعلام الغربي على إبراز هذا اللون من المفكرين ، هذا على الرغم من وجود مفكرين غربيين آخرين نـادوا بحوار الحضـارات ، ولكن وسائل الإعـلام تجـاهلت طروحهـم الفكريـة إلى حـد كبير مسلّطة إمكاناتهـا وقدراتهـا علـى موضوع (الصراع) ، ولا يخفى على أيّ ذي فهم أن يـدرك الأبعـاد العدوانيـة في هـذه الطروح .

إن فوكوياما في نظريته حول نهاية العالم يرى أن التاريخ قـد انتهى ، وأن الحضـارة الغربية هي المنتصرة وهي التي ستكون النموذج القـدوة لكـل شعوب العـالم ، ذلـك أن الرأسمالية قد تربعت على المسـرح العـالمي دون أية منافسة بعـد انهيـار الخصـم الأكـبر « الاتحاد السوفييتي » ، إنه يبشر بالانتصار النهائي للنسق الغربي .

أما هينتنغتون فإنه يقـول « سيشـكل الصـراع بين الحضـارات آخـر مراحـل تطـور الصـراع في العـالم المعـاصر » [1] ، وهـو يقـدم مقترحـات لتدعيـم الحضــارة الغربيـة ، باكتساب تحالفات حضارية تقـف معهـا تجـاه الحضـارة الإسـلامية ، وقـد علّـق المفكـر الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي على هذا المقترح من هينتنغتون بقوله : « لقد حذر مـن خطر الإسلام ، وأوصـى الغـرب بـأن يحـاول منـع أي تحـالف بين الحضـارة الإسـلامية والحضارة الكونفوشيوسية ، وأن يوثّـق الأواصـر داخـل دائرتـه الحضاريـة ، ويدخـل في عصبيته أوربا الشرقية وحتى اليابان » [2] ، ويستطرد الدكتـور الإبراهيمـي ، ليؤكـد أن هذه الطروح الفكرية ضد الإسلام ، والتي تلقى رواجاً مميّزاً لدى وسائل الإعلام تكمـن

---

(1) الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام : صموئيل هانتينغتون ص ٦ .

(2) حوار الحضارات (بحث للدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ـ بجلة العربي ـ العـدد ٤٧٧ (أغسطس ١٩٩٨) /٣١ .

وراءها توجيهات رسمية من قادة الدول الغربية نفسها ، ويقول : « والدليل على إبراز هذه الأخطار من طرف وسائل الإعلام هو أن أبرز ساسة الغرب عبّروا عن الأفكار نفسها بدءاً من الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون إلى الأمين العام الأسبق للحلف الأطلسي ويلي كلاوس ، مروراً برئيس الحكومة الفرنسية الأسبق بالادور . كلهم حذّروا من خطر الإسلام » (١) .

ويغالي هينتينغتون حين يقول : « وسيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية ، وستكون الفوارق الفاصلة بين الحضارات بمثابة خطوط القتال في المستقبل » (٢) ، ثم يفرط في الغلو حين يقول : « كلا الجانبين ينظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه أكثر من صراع بين الحضارات » (٣) . وإذا كان هذا التفاعل بين الإسلام والغرب يمثل أكثر من صراع بين الحضارات ، فماذا يمثل على الحقيقة في نظر هينينغتون ؟ هل هو صراع على الوجود ؟ لا نريد أن نجيب ، بل نحاول أن نستشف الجواب مما كتب نفسه حين صور الإسلام على أنه (خطر ذاتي التدمير) : « لا تزال قلة ترى أو تقول إنه يتعين النظر إلى الإسلام (كخطر أخضر) ، كبديل محتمل (ذاتي التدمير) للتنافس بين الشرق والغرب » (٤) .

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : مم يخاف هؤلاء ؟ من المسلمين ؟! إن المسلمين لا يخوّفونهم لأنهم في غاية الضعف ، أما الإسلام فهو الذي يخوّفهم ... ، يخوّفهم بأنه نظام للحياة يحمل كل مقومات البقاء والاستمرار ، مهما تألّبت عليه الظروف ، يخوفهم بقيمه ، بالقيم الدينية التي تدعو إليها كل الأديان ، والتي تربط الإنسان بربه القوي أكبر كبير وأعز عزيز . يخافون من هذه القيم ، أمام انهيار القيم في مجتمعاتهم ، فقد غدا ارتباط معظمهم بدينهم المسيحي ، دين الأخلاق والقيم السامية ، ارتباطاً هشاً ليس له

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) الإسلام والغرب : هانتيغتون ص ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ص٧١ .

أي انعكاس في سلوكهم أفراداً ومجتمعات ، اللهم إلا لدى النادر ، والنادر لا يقاس عليه ، إن صيحات التخوف من اكتساح الإسلام لا تزال ترتفع وترتفع ، وها هو ذا هينتينغتون يستشهد بمقالة لكاتبة أمريكية اسمها جوديت ميلير بصحيفة نيويورك تايمز ، تتساءل محذرة أمريكا نفسها من اكتساح الإسلام وتقول : « .. إذن كيف يجب على الولايات المتحدة وإدارتها الجديدة أن تنظر إلى اكتساح الإسلام المتجدد للشرق الأوسط ؟ كيف يتعين أن يكون رد الأمريكيين ؟ ماذا يجب فعله تجاه هذا الاكتساح ؟ .

ويحرص هانتينغتون على أن يكثر من الاستشهادات بأقوال آخرين ، ليعزز ما جاء به من نظرية حول صراع الحضارات ، بل حول صراع الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ، وها هو ذا يستشهد بأقوال لمفكر غربي آخر هو برنارد لويس ، الذي يرى أن مثل هذا الصراع قديم وهو صراع إسلامي من جهة ، يقابله صراع يهودي مسيحي من جهة ثانية ، وحاضر علماني من جهة ثالثة : « إننا نواجه مزاجاً وحركة تتجاوز كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تنتهجها ، وليس هذا أقل من صراع بين الحضارات متمثلاً في رد فعل غير رشيد ، لكنه تاريخي ، بالتأكيد من جانب منافس واحد قديم ضد تراثنا (اليهودي المسيحي) وضدّ (حاضرنا العلماني) فضلاً عن الانتشار العالمي لكليهما » [١] .

أما صحيفة (الرأي) الأردنية ، فقد أوردت في عددها ٥٧٧٨ الصادر في ١٩٨٦/٤/٢٢ مقالاً بعنوان « تصريحات غير عادية لمسؤول أمريكي : ـ مطلوب حملة صليبية جديدة ضد العرب والمسلمين » [٢] ، والمقال حول (ادوارد لوتواك) مستشار الإدارة الأمريكية للشؤون الاستراتيجية والعسكرية ، ويزعم أنه أستاذ تاريخ عسكري ، وجاء في ذلك المقال :

---

[١] الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام : هانتيغتون ص٢٦ نقلاً عن :
BERNARD DEWD (THE ROODS OF MUSLIM RAGE) THE ATLANDIC MONTHLY VOL : 266 - SEP 1990 . P 66 JUNE 15-1992 P.P 24 - 28

[٢] نقلاً عن كتاب « قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية » للدكتور فضل عباس حسن ص١٦-١٩ .

« دعا بالأمس إلى اعتقال جميع العرب في أوربا وغزو ليبيا في البحر المتوسط بواسطة مشاة البحرية الأمريكية ، وتحريض أوربا وإيطاليا على شن حملة صليبية جديدة ضد العرب والمسلمين » ، وقال في مقابلة أجرتها معه مجلة (اسبرسو) الإيطالية : « البحر المتوسط هو حد فاصل بين حضارتين . هناك الساحل المسيحي الذي يجيز الاختلافات في وجهات النظر ، والساحل الإسلامي الذي يبرز فيه كل من يهاجم الحضارة الغربية » ، ـ وقال ـ « أمامكم في جنوب أوروبا بديل واحد : إما أن تغلقوا حدودكم على العرب بشكل كامل ، أو تستسلموا على أساس الواقع أمام القرصنة الجديدة . عليكم أن تراقبوا بشدة كل حركات العرب دون استثناء ، عليكم ألا تعتبروا مثلاً حامل جواز السفر المصري وكأنه مواطن من الدانمارك . عليكم أن تناضلوا ضد القراصنة الجدد ـ العرب ـ وأن لا تسمحوا لهم بحرية حركة واحدة على أراضيكم كما فعلت دوقيّة (توسكانا) وانكلترا في الماضي . إذا لم تقوموا بشن حملة صليبية جديدة ستكون لكم الفوضى العارمة » .

وأختم هذا العرض بما جاء به هينتينغتون نفسه ، حين علل رفض المجموعة الأوربية لضم تركيا لعضويتها حين قال : « .. وبينما حددت النخبة التركية بلدها على أنه مجتمع غربي فإن النخبة الغربية ترفض هذا الطرح لتركيا ، ولن تصبح تركيا عضواً في المجموعة الأوربية ، ويكمن السبب الحقيقي لهذا الرفض ، كما قال الرئيس التركي (أوزال) : لأننا مسلمون ، وهم مسيحيون ، وهم لا يفصحون عن ذلك » [1] لقد رفضت المجموعة الأوربية ضم تركيا إلى صفوفها تخوفاً من الإسلام المهيمن على نفوس معظم أبناء شعبها ، وعلى الرغم من كل محاولات التغريب والعلمنة ومحاربة الإسلام من قبل النخبة العسكرية الحاكمة هناك ، فإن هذه المحاولات كلها لم تنجح في نزع الروح الإسلامية من أبناء الشعب التركي ، والغربُ نفسُهُ يعرف هذا حق المعرفة .

---

[1] الإسلام والغرب ص ٤٧ .

إن المؤامرات والمناورات التي يحرص الغرب على افتعالها دائماً ضد العرب والمسلمين ، تنصبغ ، بحكم الانتماء المسيحي للغرب بصبغة المسيحية ، لأن دول هذا الغرب ذات تراث مسيحي ، وإن كان لا صلة لسلوك هذه الدول بالمسيحية من قريب أو بعيد ، لأن سلوكها يغاير كل ما تعارفت عليه الأديان من قيم ، وهذا الرأي لا ننفرد به نحن المسلمين ، بل غدا كثير من رجال الدين المسيحي يعلمونه ، ويرفضون رفضاً غاضباً أن ينسب مثل هذا السلوك إلى الكنيسة المسيحية ، يعلن هذا الرأي الأب جاكوب لانفري حين ينقل عن وثيقة شبه رسمية صادرة عن الفاتيكان القول التالي : « .. مناورات الغرب السياسية والاقتصادية في حقبتنا الحديثة بما فيها المناورات التي يقوم بها أناس مشتهرون بإلحادهم تُعْرض كأنها صيغة أخرى للصليبية والاستعمار . وتُتَّهَمُ اليوم الامبريالية بأنها من وحي مسيحي حتى لو رفض المسيحيون هذا التحالف . ولقد عمّقت سوء التفاهم التاريخي مسؤوليات الدول ذات التراث المسيحي عن مآسي القضية الفلسطينية ، فلا بد للمسيحيين الذين يودون أن يكون حوارهم مع الإسلام حواراً مستقيماً أن لا ينسوا أخطاء ومظالم أخرى تضاف إلى أخطاء الصليبيين السياسية وإلى المشاريع الاستعمارية والامبريالية » [1] .

الصورة المقابلة :

حين احتل الصليبيون القدس وأقاموا مملكة القدس اللاتينية عام ١٠٩٩ ، م ذبحوا من المسلمين ، على ما ترويه كتب التاريخ ، مالا يقل عن سبعين ألف شخص ، وحين استرد صلاح الدين القدس عام ١١٨٧ فإن جميع الوثائق التاريخية تؤكد أنه عامل المقيمين بها من الصليبيين أكرم معاملة ، فلم يعاملهم بالمثل ، وعفّ عن قتل أي إنسان ، بل كانت له معهم مواقف إنسانية ذكرها المؤرخون الغربيون قبل المسلمين ، فقد « أظهر في مناسبات أريحيته نحو أناس مسيحيين محاولاً تجنيبهم قسوة وضعهم الجديد ،

---

[1] بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس - بحث الأب جاكوب لانفري ص٣٧٤ (كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة ..) .

فأمر بإبقاء المرضى في المستشفيات التي كان يعالجهم فيها الاسبتاريون ، وتخلى عن كنيسة القبر المقدس للروم والسريان ، وأُعفِيَ بناء على أمره وأمر أخيه العادل ألف وخمسمائة من الفرنجة الفقراء من دفع الضريبة » [1] .

بل لقد كان صلاح الدين في بعض الأحيان أشد رحمة بهؤلاء النازحين المسيحيين من إخوانهم المسيحيين أنفسهم ، بل من عدد من قادة المسيحيين في البلاد التي يحكمها هؤلاء والتي توجَّهَ إليها النازحون . ويروي الباحث ألبير شاندور قصتهم كالتالي : « وصحب المسلمون الفرنجة حتى أرض بوهيموند حاكم أنطاكية ، ويروى أن فرنجة أنطاكية وفرسان كونت طرابلس استقبلوا بفتور إخوانهم القادمين من القدس ، ويذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا في بعض الحالات يقتلونهم ويجردونهم من أحمالهم ، ما أمكنهم ذلك ، ويمنعونهم من دخول مدنهم » [2] .

وحين طُرد كثير من هؤلاء من كونتسة طرابلس وإمارة أنطاكية المسيحيتين عادوا إلى الجنوب ، ففتح لهم صلاح الدين صدره من جديد « وأمر أن توزع عليهم الخيام وأن يُطْعَموا مجاناً حتى يتمكنوا من الإبحار إلى الغرب ، وأمر بنقل عدد كبير منهم إلى الاسكندرية للتعجيل برحيلهم » [3] .

وفي الإسكندرية حاول ربابنة سفن جنوة وبيزا والبندقية استغلال بؤس هؤلاء ، فلم يسمحوا بالسفر على سفنهم إلا لمن دفع الأجر كاملاً ، شريطة أن يكون معه ما يكفيه من الزاد ؛ الأمر الذي أبقى كثيرين منهم خارج السفن ، وقد تنبه حاكم الميناء المسلم للأمر ، إذ دهش من قلة عدد فرنجة القدس بين الركاب رغم انتظارهم السفر ، ورفض عذر قادة السفن عن عدم حملهم معهم بحجة فقرهم وعدم قدرتهم على الدفع ، وعمد إلى إجبارهم على حملهم ، إذ حجب عنهم دفات السفن التي كانت تودع لديه حتى

[1] صلاح الدين البطل الأنقى في الإسلام : ٢٣٤ .
[2] المصدر نفسه /٢٣٥ .
[3] المصدر نفسه /٢٣٥ .

موعد السفر ، ولم يفرج عنهـا إلا حين انصاع هؤلاء الربابنـة إلى أمره بحمل هـؤلاء البؤساء إلى موانئ فرنسا وإيطاليا ، وزودهم بالزاد الكافي لرحلتهم ، ذلـك أنـه اعتبرهم في ذمة المسلمين حتى يصلوا إلى ديارهم [1] .

ومن المكرمات التي سجلت لصلاح الدين في معاملته لمن كانوا في القـدس ، بعـد أن تم له استردادها القصة التالية التي يرويها شاندور أيضـاً : « وجثَـتْ بعـض النسـوة على قدمي السلطان مبتهلات : لقد فقدنا كل شيء : منازلنا وأموالنا وديارنا وسنتيه في بلاد أصبحت غريبة ومعادية بالنسبة إلينا ، وبإمكانك أيها السيد أن تخفف آلامنـا بـأن تعيـد إلينا أزواجنـا وإخوتنـا وأولادنـا الراسـفين بـأغلال الأسـر عنـدك ، فـأمر صـلاح الدين بالبحث عن أزواج هؤلاء النسوة بين الأسرى ، وأطلق سراحهم ، بـل عمـل أكـثر مـن ذلك ، فقد غمر هؤلاء النسوة بالهدايا والمؤن » [2] .

ولعل من أجمل صور المروءات تلك المعاملة التي لاقى بهـا صـلاح الديـن أسـيره دي لوزينيان ملك القدس ، يقول شاندور : « واستقبل صلاحُ الديـن ملـكَ القـدس التعيـسَ استقبالاً لائقاً وعزّاه بفقد مملكته ، وأجلسه إلى يمينه ، وتحـدث إليـه ، وقـدّم إليـه شـراباً مبرّداً بثلج حرمون ممزوجاً بماء الورد » [3] .

هذه المواقف الإنسانية من صلاح الدين نابعة مـن التزامـه بـالقيم الدينيـة الـتي يؤمـن بها ، أمـا المواقـف الـتي صـدرت عـن الآخريـن إبّـان تلـك الحـروب ، فإنهـا تؤكـد أن تصرفاتهم لم تكن إطلاقاً محكومة بالتزامات دينية ، والعكس صحيح ، أي أن البعد عـن الدين هو الذي يملي أمثال تلك التصرفات .

---

[1] انظر المصدر نفسه ٢٣٥ .

[2] المصدر نفسه /٢٣٥ .

[3] المصدر نفسه /٢١١ .

٢

البهتان

الغرب حديثاً هو نفسه الغرب القديم ، بالنسبة لنا ، وعداوته للإسلام وللمسلمين هي هي ، ضاربة في القدم عبْر الزمان ، وتتلون بحسب الظروف في أشكال مختلفة ، سافرة حيناً ومتوارية حيناً آخر ، ومتلونة بألوان جذابة خادعة في أحيان أخرى .

وناهيك عن العدوان المادي بالحرب وبالاحتلال وبالاستغلال . والذي عانينا منه الكثير ، فإن العدوان الفكري أشدُّ خطراً من جميع تلك الألوان من العدوان ، ذلك أنه يغسل العقول الخالية من العداوة ويشحنها بالعداء ، ويهيئ النفوس التي لم تطلع على الحقائق لتقبل ما يلقى إليها من أكاذيب على أنها حقائق ، وتزداد هذه الأكاذيب رسوخاً في الأذهان الخالية مع اطراد بثّها بجميع الأساليب الممكنة ، هذا ما كان عليه حالنا مع الغرب ، وهذا ما لا يزال الحال عليه ، والضحايا ، لسنا وحدنا فيها ، بل معنا فيها عامة أهل الغرب ، ممن يتلقون من كتّابهم ومفكريهم أكاذيب عن الإسلام على أنها حقائق ، فترسخ في نفوسهم وتشكّل لديهم مع الزمن ومع الاستمرار ألواناً من عقد الكراهية والبغضاء .

الخلاف في الآراء والمعتقدات لا يشكل ظلماً على الآخرين ما دام أصحابها يحكمهم الإنصاف وطلب الحق ، وما دامت آراؤهم ومعتقداتهم تصدر عن المنابع الأصلية لها ، أما ما هو مرفوض في أي منطق فهو الافتراء ، ونَحْلُ الآخرين ما ليس فيهم ، وتصديقه ، ومن ثَمَّ بناء المواقف عليه . هذا حال الغرب المسيحي مع الإسلام . لقد افتأت الكثيرون من علمائه ومفكريه على الإسلام وعلى نبيّه ، وألصقوا بهم فِرْيات لا سند لها من الصدق أو الحق أو التاريخ ، سجلوا ذلك في أحاديثهم ومحاضراتهم وكتبهم ، وضمنوه مناهج التدريس في معاهد التعليم عندهم ، ودرّسوه لأبنائهم منذ

نعومة أظفارهم ؛ الأمر الذي أوجد أجيالاً متلاحقة من رجال الغرب تكوّنت لديها منذ طفولتها مشاعر الكره للإسلام والمسلمين .

إن المطّلع على ما كتب وعلى ما لا يزال يكتب عن الإسلام وعن نبيّه ، ليُذْهَل من حجم التجنّيات المتعمدة التي تلصق بهما .

هناك محاولات لفهم الإسلام فهماً صحيحاً يحاولها كثير من المنصفين من رجال الغرب ، ولكن ركام المفتريات قد يحول دون وصول كثير منهم إلى معرفة الحقيقة .

إن الإسلام حقيقة تاريخيّة ، وأية دراسة حوله يجب أن تتم من خلال النصوص والوثائق الإسلامية الصحيحة ، هذا واجب علمي وموضوعي ، والالتزام به لا يمكن أن يسمح بنشر معلومات غير صادقة عنه . والسؤال الذي يفرض نفسه ، هل كانت المعلومات التي شحنت بها عقول الغربيين عن الإسلام صادرة عن مثل هذا التوجّه ؟ الجواب في الواقع يقول : « لا » .

وحرصاً منا على دفع مظنّة التحامل ، سيكون ما نعرضه من نماذج محدودة من تجنّي الغرب فكرياً على الإسلام والمسلمين ، وعلى نعته باختلاقات وأكاذيب ليست منه ، سيكون ما نعرضه منها مستمَداً من مصادر مسيحية ، ومن خلال كتابات وأقوال مفكرين وكتاب مسيحيين تعالَوْا على صغائر التعصب وكانوا من أرباب النزاهة والإنصاف ، فسجلوا ما اطلعوا عليه ، وما اعتبروه يجانب الصواب .

وسنكتفي من ذلك بنُبذ وإشارات معبّرة دون الاسترسال في التوسع ، لأن التوسع قد يستغرق مجلدات ومجلدات .

يذكر الكاتب الألماني (غوستاف . ا . فون غرونباوم) في كتابة « حضارة الإسلام » مجموعة من هؤلاء الذين تحاملوا على الإسلام ويشير إلى إنتاجهم في ذلك ، ويسجل نبذاً من أقوالهم حوله ، ومن هؤلاء (يحيى) أو يوحنا الدمشقي اليوناني [1]

---

[1] انظر نظرة الغرب إلى الإسلام ص٥٦ ، وحضارة الإسلام ص٦٥ .

الذي يؤكد أن الإسلام فرقة مسيحية مارقة، وأن العرب ظهر بينهم متنبئ اسمه (مـامد) أي (محمد)، وأخبرهم أن كتاباً مقدساً قد أنزل إليه من السماء يشتمل على تعاليمهم المقدسة، وقدم إليهم الفرائض المضحكة التي وضعها في ذلك الكتاب قائلاً إنها شريعتهم المقدسة.

ومنهم بارثولوميو الرهاوي الذي ينشر أكاذيب كثيرة، يقول في بعضها إن راهباً منحرفاً هو الذي أملى القرآن على محمد: «فعندما رأى ذلك الراهب الفاسق سذاجة القوم رأى أن يمنحهم عقيدة وشريعة على غرار مذهب آريوس وغيره من ألوان الكفر والزندقة التي حُرِم من أحلها، فراح يسطر كتاباً.. هو الذي يسمونه (القرآن)، وهو شريعة الله، ناشراً فيه كل ما أودع من مروق، فعلم فيه أن الله لا كلمة له ولا روح، وأن المسيح لم يكن رباً، وإنما هو نبيّ كبير وحسب، وجمع فيه شتات قدر ضخم من هذه الترّهات، وعند ذلك أعطى كتابه لتلميذه (مؤمد) أي (محمد)، وأبلغ أولئك البلهاء أن ذلك الكتاب أنزل على محمد من السماء حيث كان في حفظ جبريل المَلَك، فصدّقوه فيما قال، وبذلك مكن الراهب لذلك القانون الجديد» [1]. ويسترسل جروئنباوم في ذكر أعداد من هؤلاء المتجنّين على الإسلام مشيراً إلى أخطر أقوالهم عليه، ونذكر منهم: ثيوفانيز (المؤرخ البيزنطي) ويولوجيوس القرطبي وجيبرت النوجنتي وهلدبرت الليمانزي وأندريا داندولو وبطرس بلومان ووليم دنبار ووليم الطرابلسي [2]، مع ذكر شواهد من أقوالهم المتجنّية.

أما الكاتب (ر.و. سذَرن) فإنه يتحدث عن (نقولا الكوسي) الذي ألف كتاباً سماه (غربلة القرآن)، واكتشف أو ظن أنه اكتشف (على رأي سذرن) «أن القرآن مكون من ثلاثة عناصر:

١ ـ الأول: هو النصرانية ذات الأساس النسطوري.

---

(١) المصدر نفسه /٦٩.

(٢) انظر المصدرة نفسه ص٦١-٧١.

٢ ـ والثاني : هو مشاعر ضد النصرانية أدخلها المستشار اليهودي لمحمد .

٣ ـ والثالث : تحريفات أتى بها (المصححون) اليهود بعد وفاة محمد »[١] .

ويضيف الكاتب نفسه وصفاً لتصور مسيحيي الغرب عن الإسلام ونبيه ، فيقول : « إن ديناً لا راهب فيه ولا سراً مقدساً قد يكون مقبولاً ، ولكن تلك الصفات لدين طبيعي ارتبطت بكتاب مقدس ، تناوله القليلون من الغربيين الذين تعرفوا عليه على أساس أنه مليء بالسخافات وبنبيّ اختاره الله ، عرف في الغرب عموماً على أساس أنه مخادع وذو حياة غير طاهرة ؟ »[٢] .

وعن حياة النبي ﷺ يشير سذرن إلى جهل كثير من الكتاب الغربيين به وبتعاليمه ، وإلى ترديدهم أقوالاً مختلفة نقلوها عن الكتّاب اللاتين ، منها : .. ثقافته النصرانية .. وخطته التي تتعلق بالإباحة الجنسية العامة كأداة لهدم النصرانية .. وأنه ساحر هدم الكنيسة في أفريقيا والشرق بالسحر والشعوذة ، وأنه ثبّت نجاحه بإباحة الاختلاط الجنسي ، ومنها تعليق قبره في الهواء بالمغناطيس ، ومنها الإشارة إلى وفاته وقتل الخنازير له شر قتلة في إحدى نوبات صرعه . ويستمر سذرن في عرض مثل هذه الأقوال والآراء لدى الغربيين فيقول : « ظهر العرب المسلمون متحدين في شيء واحد هو : عبادة الأصنام ، فنراهم يعبدون ثلاثة آلهة هي (تيرفاغان) و(محمد) و (أيولو) ، ثم صار لديهم آلهة أكثر بعد ذلك بحكم عملية تطور طبيعية ، وقد أُحصي لهم في هذا الضرب من الأدب ما يزيد على ثلاثين إلهاً .. ولكن هذا لم ينشأ إلا عن خصوبة الوهم الشعبي ، فإن أي شخص اهتم بمعرفة شيء عن الإسلام أدرك في الحال أنه أشد الأديان تمسكاً بالتوحيد »[٣] .

كما يشير المؤلف نفسه إلى ما كتبه المفكر اليوناني يحيى أو يوحنا الدمشقي ، حين جعل الإسلام توجهاً منحرفاً عن النصرانية ، فإن يحيى هذا « رأى أن الإسلام هو

---

[١] نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى : ص١٠٨ .

[٢] المصدر نفسه ص٢٠ .

[٣] المصدر نفسة /٤٩ .

هرطقة نصرانية ، بل آخر هرطقة وأكبرها ، والوحيدة التي لم يرد عليها »[1] . وفي كتاب « فضل الإسلام على الحضارة الغربية » يتحدث صاحبه مونتغمري وات ــ عن قضايا أساسية ألصقت بالإسلام ، ولا تقبلها الدراسات الموضوعية الحديثة ، ويقول : « والنقاط الأربع الرئيسية التي تختلف بصددها صورة الإسلام في العصور الوسطى عنها في الدراسات الموضوعية الحديثة هي :

١ ـ إن الدين الإسلامي أكذوبة ، وتشويه متعمد للحقيقة .

٢ ـ إنه دين العنف والسيف .

٣ ـ إنه دين يطلق لشهوات المرء العنان .

٤ ـ إن محمداً هو المسيح الدجال »[2] .

ويعلق على ذلك بعد ذلك ، ويقول : « هذه إذن هي الجوانب الرئيسية الأربعة للصورة الشائهة عن الإسلام التي تكونت في أوربا فيما بين القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر »[3] .

أما الكاتب الاسباني ميكال إيبالثا الأستاذ بكلية الفلسفة والآداب واللاهوت بمدريد فإنه استنكر كتابات مسيحية مجحفة بحق الإسلام ونبيّه ، فيشير إلى أن كتاباً أُلّف قبل قرن بالإسبانية بعنوان « القرآن » ، يشير مؤلفه إلى أنه (الموجز التاريخي لحياة وأفعال النبيّ الكاذب محمد الأساسية .. والقوانين المضللة والجاهلة والمتناقضة التي أملاها ذلك القائد الخبيث بين أبناء قومه من العرب) ، ثم يقول إيبالثا : « .. وتستمر تسعمائة واثنتان وتسعون صفحة على هذه الوتيرة » ثم أشار إلى أنه قبل قرن من ذلك أُلّفَ كتاب آخر بعنوان : « حقيقة أخلاق محمد ودينه » ، ويدّعي أنه يقدم « فكرة عادلة عن هذا النبي المزيف بدون الثناء عليه بإفراط ودون الحطّ منه بحقد » .

---

[1] المصدر نفسه /٥٦ .

[2] فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص١٠٠ .

[3] المصدر نفسه /١٠٥ .

ويعلق هذا الرجل المنصف بعد ذلك ، ويقول : « وهكذا ترون أننا حتنا بالضغينة منذ آماد بعيدة » [1] .

أمثال هذه الكتابات كثيرة ومستمرة ، ونكتفي بالقدر اليسير الذي أوردناه منها ، لنشير بعد ذلك إلى أن العدوان على الإسلام لإضعافه ولتشويه صورته ، تحوّل في العصور الحديثة إلى عدوان مبرمج تعد له الخطط وترصد له الأموال ، وتشحن له العقول ، وكان الاستعمار رأس الحربة فيه ، وكان التبشير والاستشراق أداتيه الرئيسيتين .

أما الاستعمار ، فقد ذكرنا أن الغرب احتل معظم الديار الإسلامية في أفريقيا وآسيا ، وعمل ، عدا النهب والاستغلال ، على تفتيت التكامل الشخصي لكل إنسان في البلاد المستعمرة ، واغتصب من المسلم حرية التعبير عن فكره وحرية العمل في أي ميدان فكري ، وبخاصة في ميدان التعليم تجهيلاً له ولأبنائه . وفي حالات كثيرة كان يقتلع الإنسان جسمانياً من أرضه ومسكنه ليحل محله أجانب ليستوطنوا مكانه ، هذا ما حاول أن يفعله في الجزائر ، وهذا ما فعله في فلسطين . ونعود إلى التحفظ ثانية ، ونقول : إن المسيحية تعارض كل هذه الأساليب وترفضها ، إن المسيحي حين يقوم باقتراف الجرائم يكون غير مسيحي على الحقيقة ، حتى لو بارك أسقف كنيسة ما مغامراته وشجعها ، لأن الدين ـ كما ذكرنا من قبل ـ ليس هو أبناءه ، وما يرتكبه أبناء دينٍ ما لا ينسحب على الدين نفسه .

أما الأداة الأولى للاستعمار فقد كانت هي (التبشير) . وهنا لابد من وقفه عند معنى (التبشير) ، ثم عند بعض الممارسات التبشيرية . التبشير لدى أي فهم ـ عميقاً كان أم بسيطاً ـ يعني الدعوة إلى الإيمان بكل الوسائل المشروعة للإقناع ودون ضغط أو خداع أو إغراء غير شريف ، وهذا مقبول في جميع الأديان ، طالما كان الداعية في الدين الآخر يلتزم بحدود هذا الفهم ، إما إذا خالف التبشير هذه الضوابط فإنه يتحول إلى عمل غير أخلاقي ، والعمل غير الأخلاقي يرفضه أي دين ، وهذا الفهم يؤكده بقوة المجمع

---

[1] محمد الرسول التاريخي وقيمه ص : ٣ .

الفاتيكاني الثاني حين يعلن : « إن للجماعات الدينية حقاً على تعليم إيمانها ، والجهر به علناً بالصوت الحيّ أو الكتابة ، شرط أن يمتنع الجميع عن أي نوع من التصرف يبدو فيه بعض الضغط والإقناع المزيّف غير الشريف ، وخاصة مع الأشخاص الذين لا ثقافة عندهم ولا ثروة ، في إذاعة الإيمان وإدخال الممارسات الدينية »[1] .

وهذا نص واضح صادر عن مصدر من أعلى المصادر المسيحية ، وفيه حكم مطلق على كل أنواع التبشير ، ويؤكد أنه ضرورة ولكنها محكومة بضوابط أخلاقية ، وفي تصوري أنه لا يوجد أي اعتراض على مثل هذا الكلام من أي مؤمن من أي دين .

التبشير في المسيحية ، والدعوة إلى الله في الإسلام ، كلاهما أمر أخلاقي وديني ، لأن سعي الإنسان لإتاحة الفرصة للآخرين لكي يستفيدوا من الحقيقة الدينية التي يمتلكها الداعية أو المبشر أمر مطلوب . ومن طبيعة الدين وحقيقته السعي للتعريف به ، وتأمين الاعتقاد بهذا المضمون ، ومن ثم ممارسته في السلوك عَبْر أكبر عدد ممكن من الأفراد . وعليه ، فإن الدعوة إلى الله هي جزء لا يتجزأ من دين الفطرة .

ولكن العالم الغربي المسيحي خان هذه الأمانة ، واستغلّها ، وسخرها لخدمة الاستعمار الذي عانت الشعوب الإسلامية من مظالمه ما يفوق الوصف ، وكثيراً ما وقعت أعداد من المبشرين في شبكة هذه القوى الاستعمارية ، وتجندت ـ مع ظنّ الدعوة إلى الله عند بعضهم ـ لمحاربة المسلمين انخداعاً أحياناً ، وكراهية وبغضاً في كثير من الأحيان ، وقد استخدمتهم تلك القوى لتحقيق مصالحها البعيدة عن الدين . وفي مثل هذه الحالات لا يكون سعي المبشر ، في كثير من الأحيان ، وراء الحقيقة الإلهية ، بل يكون الغرض الإلهي بالنسبة له هو تحقيق النفع السياسي والاقتصادي . وكل هذه الأمور تجعل من حركات التبشير المسيحية في جيلنا حركات مشكوكاً فيها ومسببة للنفور والكراهية . إن الرغبة في استخدام التبشير لخدمة الاستعمار لم تأتِ عفواً ، ولم

---

[1] بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي /٢٨٢ من بحث للأب جاكوب لانفري بعنوان « كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا » ص٣٨٢ .

تصدر عن فراغ ، فقد تجند للعمل بها مفكرون حددوا أهدافها بوضوح ووضعوا لها خططها ، نذكر منهم الفيلسوف الإنكليزي روجر بيكون (١٢١٤ ـ ١٢٩٤) في كتابه « في الفلسفة الخلقية OPUS MAIUS » ، الذي يدعو فيه في وقت مبكر وفي تخطيط واضح ، إلى توظيف التبشير لخدمة الاستعمار إذ يقول :

« النصارى قلة ، والكفرة يملؤون الأرض ، لا يجدون من يريهم الحقيقة ، وإذا سألنا : لماذا لا يوجد من يريهم الحقيقة ؟ يكون الجواب : لأن مقاصد العالم النصراني كانت خاطئة وأداته كانت قاصرة ، كانت أهدافه خاطئة لأن الرغبة في السيطرة أفسدتها ، فخابت مساعي الدعوة إلى النصرانية ، وفشلت الحروب فشلاً ذريعاً ، وحتى لو نجحت فإنها ما كانت لتفيد ، وثانياً لأن الناجين (من الحرب) سيلتهبون حماسة ضد غزاتهم فيكون من الخطر العيش بين ظهرانيهم ، ومن المحال تحويلهم إلى النصرانية كما نرى في الكثير من بلاد العالم الإسلامي . فالتبشير إذن هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها توسيع رقعة العالم النصراني ، لكننا في هذا نجد قصوراً من نواح ثلاث :

١ ـ لا أحد يعرف اللغات الضرورية .

٢ ـ لم تدرس أنواع الكفر وتميّز بعد .

٣ ـ لم تجر أي دراسة للحجج المضادة حتى يمكن دحضها » [1] .

إن روجر بيكون يرى أن توسيع رقعة العالم النصراني يحتاج إلى إعداد مبرمج ، من خلال معرفة لغات الشعوب المطموع في غزوها ، ويقصد بها المسلمين ، ومن خلال معرفة عقائدهم ثم معرفة ما يتبعها من عادات وتقاليد ؛ الأمر الذي يسهل عليهم معرفة طبائع ونفسيات تلك الشعوب ، وبالتالي معرفة طرق التعامل معها لتذليلها والسيطرة عليها . وهذان الأمران اضطلع الاستشراق بتنفيذهما ، ونجح في ذلك ، أما الأمر الثالث ، فهو طرق المجادلة التي تتيح رد الحجج في المعتقدات ، وهذا ما تبناه التبشير .

---

(1) نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ص٧٥ .

وأما الأداة الثانية للاستعمار فهي الاستشراق ، وقد برزت ظاهرة الاستشراق مع تطور الجامعات الغربية في العصور الحديثة ، وتجلت في الدراسات المستفيضة عن الشعوب الشرقية والإسلامية وعن تراثها الفكري ، وكان كثير من المستشرقين ، منذ بدايات الاستشراق ، مرتبطين بوزارات الخارجية وبدوائر الاستخبارات في دول الغرب ، بهدف فَهْم الإسلام من جهة ومعرفة طبيعة المجتمعات الإسلامية من جهة ثانية وتقديم خلاصة دراساتهم إلى تلك المؤسسات ، لتفعيل قدراتها على التعامل مع الشعوب الإسلامية التي تم استعمارها ، ثم توسَّع نطاق الاستشراق حتى غدا ميداناً علمياً تتبناه معظم الجامعات هناك . وكان المستشرقون المهتمون بالدراسات العربية والإسلامية مزيجاً من العلماء المتفاوتين في الاتجاهات الفكرية والعقائدية ، كان فيهم يهود ، وكان كثيرون منهم مسيحيين ، وكان فيهم المؤمن كما كان فيهم الملحد ، وكان منهم المنصف والموضوعي ، كما كان منهم من يستبطن كراهية للعرب وللمسلمين بسبب عقد عداوة سابقة ، وهؤلاء كانوا يحولون هذه الكراهية إلى التفتيش عن المطاعن أو إلى صنعها بدوافع من الهوى والتعصب ، وامتزج في نفوس هؤلاء عاملان : رغبتهم في معرفة الإسلام ، ورغبتهم في تدميره بالتأويل المغرض وبالدس ، يضاف إلى ذلك حرص على تشويه صورة الإسلام في عقول المسيحيين الغربيين .

« فمنذ بداية هذا القرن ، تحول اهتمام المستشرقين عن الدراسات الإسلامية القديمة إلى الدراسات الإسلامية الحديثة التي تتابع تطور الفكر الإسلامي والمجتمعات الإسلامية في مختلف بلاد المسلمين . وهي دراسات موجهة هادفة يساير تطورها تطور السياسة الاستعمارية واتجاهها إلى التغريب » [1] .

وللحقيقة والإنصاف نذكر أن بعض هؤلاء المستشرقين كانوا يتصفون بالتجرّد والنزاهة والموضوعية ، وإذا وقع من بعضهم هَنَاتٌ فإن مبعثها فقدان الحس الأصيل للغة العربية لدى بعضهم ، أو جهلهم بروح الإسلام ، كما يجب أن نذكر لهم أيضاً اكتشاف

---

[1] الإسلام والحضارة الغربية ص١٠٠ .

وتحقيق كثير من كتب التراث ونصوصه ، كما أن بعض جهودهم العلمية التي كانت تأخذ شكل (الدليل) قدّمت خدمات جلّى للدارسين من الغربيين ومن المسلمين ، ونذكر منها على سبيل المثال مفتاح كنوز السنة لفنسنك ، والمعجم الفهرسي لألفاظ الحديث لفنسنك أيضاً ومعه مجموعة كبيرة من العلماء ، ومنها كذلك تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان .

وعوداً على بدء نكرر ونكرر بأن العالم المسيحي في الغرب هو غير المسيحية التي تنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام ، وهو غير العالم المسيحي في بلادنا ، فالمسيحيون عندنا ومعنا نفهمهم ويفهموننا ، ونتعامل معهم كما يأمرنا ديننا ، وهم كذلك يتعاملون معنا بالروح السمحة التي تسود الدين المسيحي ، وكلنا نعيش في كنف الأرض التي تنزلت فيها رسالات السماء ، ونستظل جميعاً بهديها في تعايش ، لحمته البر والإحسان وسداه العدل والإنصاف .

الإنصاف

أتباع أي دين يعتقدون أن دينهم هو الصحيح ، أو الأكثر صحة ، ولو كان غير ذلك لما اتبعوه ، وهذا قول منطقي يفرض نفسه على كل إنسان . وفي هذا الاعتقاد يستوي المسلمون والنصارى واليهود وأرباب الأديان الأخرى غير السماوية .

وفي العلاقات بين المسلمين والنصارى ، التزم المسلمون بما جاء به الإسلام حول النصرانية والنصارى ، وافقوهم في كثير ، وخالفوهم في بعض العقائد الأساسية ، ولهم في هذه المخالفة مرجع هو الإسلام ، التزموا بما نادى به ، لم يتزيّدوا ، ولم يفتئتوا ، ولكن النصارى في بلاد الغرب بالذات افتأتوا كثيراً ولفقوا أكاذيب وتشويهات ألصقوها بالإسلام ، وبنبيّ الإسلام محمد ﷺ ، وقد مرت بنا نماذج من ذلك في صفحات سابقة من هذا الكتاب .

وإذا كان معظم أبناء الغرب قد رسخ في نفوسهم ما تناقله المفترون عبْر مئات السنين ، حتى غدت صورة الإسلام ونبيّه لدى كثير من المنصفين والموضوعيين منهم صورة مشوهة ، لأنهم لم يطلعوا على حقيقة الإسلام ، ولم يُتَح لهم من يُبصّرهم بها ، فإن فريقاً آخر ممن سمحت لهم الظروف بمثل هذا الاطلاع وقفوا وقفة إنصاف ، ينددون بالتشويه والتشويش ، ويحاولون التعريف بالإسلام على حقيقته ، ومن خلال ما اطلعوا عليه ، وما عرفوه عنه . لقد صح عندهم أن ظلماً وقع على الإسلام لا ترضاه المسيحية بسماحتها وعدلها ، ولا يرضاه الصالحون الصادقون من أبنائها ، وتطوّع كثير من هؤلاء للإعلان عن تحملهم وزر المتعصبين السابقين ، علماً أن لا وزر لهم هم فيه ، وحرصوا على محاولة تبديل الفهم الخاطئ في نفوس الغربيين بفهم جديد وموضوعي عن الإسلام وعن المسلمين ، وهذا بالنسبة للمسلمين ، وعلى ندرته حتى الآن ، جيد ورائع ، ونشكر

هؤلاء وأمثالهم ، وننظر إليهم بعين التقدير ، ولا نريد أن نعدد أسماء كثيرين من أمثال هؤلاء ، لأن من جَهِلْناهم وجهلنا أسماءهم منهم أكثر بكثير ممن تتداول ألسنتنا ذكرهم وذكراهم .

ومع صيحات الإنصاف التي بدأت تتعالى في الغرب ، كان لرجال اللاهوت المسيحي دور هام في النظر من جديد في الديانات غير المسيحية ، وإعادة تقويمها من منظور جديد ، سمح للمؤسسات الكهنوتية أن تعطي آراء واضحة في هذه الديانات التي تدعو كلها إلى الخير ، وإلى سعادة الإنسان في دنياه وفي أخراه . وقد حدد الأب جاكوب لانفري في بحثه الذي ألقاه في ندوة الحوار الإسلامي المنعقدة في طرابلس عام ١٩٧٦ الإطار الذي تحرك فيه رجال اللاهوت هؤلاء ، والنتائج التي توصلوا إليها ؛ وذلك حين قال : « .. وفي خطّ مواز أتاح تجديد نظرة اللاهوت المسيحي في الديانات تجديداً أفضل لمكانة كل منها ، وبخاصة لمكانة الإسلام لطريق الخلاص لا نحتاج بعده إلى تبيان قيمة الإيمان الإسلامي الدينية الذي يشمل حقائق كبيرة : التوحيد ، كلمة الله المعلنة للناس بواسطة الأنبياء ، بدء العالم ونهايته ، القيامة ويوم الدين » [١]

ويستطرد الأب لانفري ، فيقول : « وبينما يختلف الإيمان الإسلامي والإيمان المسيحي على صعيد العقيدة اختلافاً صريحاً ، على ما يجمع بينهما من عناصر كثيرة ، فهما يلتقيان على صعيد الموقف الديني الذي يحدده دافع الإيمان ، تعطى الإيمانَ الإسلاميَ خطوطُه الجوهرية قيمة دينية ممتازة يمكنها أن تؤدي به إلى تدبير الخلاص كما أراده الله ، وذلك لأن الإيمان الإسلامي هو إيمان محوره الله » [٢] .

---

[١] « كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا » بحث للأب جاكوب لانفري - من كتاب « بحوث ووثائق الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس » ص٣٨١ .

[٢] المصدر نفسه ص٣٨١ .

إنها شهادة على مستوى العقيدة المسيحية ، لا يطلبها المسلمون من المسيحيين ، ولكن القائلين بها منهم حين تطوعوا بإعلانها ارتقوا في نفوس الناس ، وفي نفوس المسلمين إلى مستوى المخلصين من معتنقي الرسالات السماوية ، التي ترى في البشر جميعاً عباداً لله الواحد الأحد .

وهذه النظرة الجديدة لدى المؤسسات الكنسية إلى الأديان الأخرى تفتح أبواباً للتقارب كانت مغلقة ، وقد وضعت هذه النظرة موضع التطبيق حين أنشأ الفاتيكان في عيد العنصرة ١٩٦٤ « أمانة سر للعلاقات مع غير المسيحيين » ، رَأَسَها في أول تأسيسها تباعاً الكاردينالان : « ماربلا » ثم « بينييدولي » ، ثم انبثق عن هذه الأمانة في الأول من آذار (مارس) ١٩٦٥ « أمانة سر فرعية للإسلام » ، مهمتها « أن تنمّي الحوار الإسلامي المسيحي ، وتنطلق به إلى كل أبعاده ، وأن تساعد بشكل خاص الشعوب المسيحية على تبديل عقليتها تجاه الإسلام » [١]

أما المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، فقد كانت له مبادرات للتقارب مع بقية الأديان بعامة ومع المسلمين بخاصة ، وله في ذلك توصيات عديدة ، منها التصريح الذي صدر عن هذا المجمع عن علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية ، إذ جاء في الفقرة الأولى منه : « إن الأمم كلّها أسرة واحدة ، تنحدر من أصل واحد ، إذ أن الله قد أقام كل أمة من البشر على وجه الأرض كلها ، كما أن لها في النهاية هدفاً واحداً هو الله الذي يشمل الجميع بعنايته وآيات لطفه وتدابيره الخلاصية ، إلى أن يلتئم شمل المختارين في المدينة السماوية التي سينيرها الله بسنائه ، والتي ستمشي الأمم في نورها » [٢] .

---

[١] المصدر نفسه ص٣٧٩ .

[٢] بحوث ووثائق ندور الحوار الإسلامي بطرابلس ـ بحث للأب موريس بورمانس بعنوان « الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة » ص٣١٨ .

وفي الوثيقة نفسها وفي الفقرة الثالثة منها تعريج على علاقة الكنيسة بالمسلمين : « إن الكنيسة تنظر بعين الاحترام إلى المسلمين الذين يعبدون ا لله الأحد الحيّ القيوم الرحمان القدير ، فاطر السماء والأرض الذي كلم البشر » [1] ، ويستمر التصريح في مواضع متعددة في الضرب على نفس الوتر الهادف إلى التقارب . وينقل الأب بورمانس عنه : « .. فالمسيحيون والمسلمون على السواء يسمون سيدنا إبراهيم (خليل ا لله) وسيدنا موسى (كليم ا لله) ، فيتخذون حياة الأول والثاني أسوة حسنة ومثالاً أعلى لإيمانهم وطاعتهم ، فقد اعترف بذلك المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني مرتين : أولاً عند تأمله في تاريخ الخلاص ، إذ قال : « تشمل أيضاً مشيئة ا لله الخلاصية من يعترفون بالخالق ، وفي أولهم المسلمون الذين يقولون بأن إيمانهم إيمان إبراهيم فيعبدون ا لله معنا ـ (دستور عقائدي في كنيسة المسيح ــ فقرة /١٦) ، وثانياً في التصريح عن علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية ، إذ أُقر فيه : (إن المسلمين دأبهم الاستسلام من صميم نفوسهم لأحكام ا لله الخفية ، كما استسلم إبراهيم الذي يتخذونه لإيمانهم أسوة مستحبة » [2] .

لقد صدر عن سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين كتاب بعنوان : « توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين » ، فيه مطالبة للمسيحيين بمراجعة مواقفهم إزاء الإسلام وبنقد أحكامهم المسبقة ، وبالتخلّي عن الصورة البالية التي ورّثها الماضي ، أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة [3] .

---

[1] المصدر نفسه : ص٣٨١ .

[2] الأسس المشتركة : لانفري ـ بحوث ووثائق ندوة الحوار ص٣٢٤ .

[3] صدر الكتاب في طبعته الثالثة عام ١٩٧٠ وانظر إشارات إليه في بحث الأب جاكوب لانفري ص٣٧٦ و٣٨٠ .

لقد كان لمواقف المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الشُجاعة ، وما تلاه من إيجاد أمانات فرعية في الفاتيكان للحوار مع الأديان غير المسيحية ومع الإسلام بخاصة ، ومن إصدار وثائق وكتب وتصريحات ، لقد كان لذلك كله تداعيات ومتابعات إيجابية على طريق الحوار مع المسلمين ، وعلى التوجيه لفهم الإسلام لدى المسيحيين فهماً صحيحاً ، ففي فرنسا ، كما يقول الأب ميشيل لولون : « قام الأساقفة بإنشاء أمانة للعلاقات مع الإسلام ، هدفها الرئيسي خلق موقف لدى الطائفة الكاثوليكية تجاه الإسلام يتمشى تماماً مع توصيات المجمع . ويتم هذا العمل بالتعاون والتفاهم الوثيق مع اللجنة البابوية للعلاقات الدينية مع الإسلام » (١)

ويردف الأب لولون ، فيشير إلى نشاط مماثل في نفس الاتجاه للكنائس الأخرى في فرنسا ويقول : « وهناك جهد مشابه تم في إطار (الكنيسة الإصلاحية والكنيسة الأرثوذوكسية) بروح الحوار الذي حدّده قسم المجمع المسكوني المكلف بالعلاقات مع الإسلام . وما زال هناك كثير من الجهد الذي يتعيّن بذله لدى الرأي العام الفرنسي ، ولا سيما في الكنائس المسيحية ، للتعريف بالعقيدة الإسلامية تعريفاً حقيقياً على كافة المستويات » (٢) .

وعدا المواقف الإيجابية الجديدة للكنيسة ، فإن هناك شخصيات مسيحية تصدت في شجاعة لاستنكار المظالم التي وقعت على الإسلام وعلى نبيّ الإسلام ، ولتوضيح الحقائق التي عرفوها عنهما ، وجد مثل هؤلاء في القديم ، ووجد مثلهم في الحديث ، ففي القديم نستمع إلى شهادة البطريرك (عيشو يابه) الذي تولى منصبه (٦٤٧ ـ ٦٥٧هـ) إذ كتب يقول : « إن العرب الذين مكّنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما

---

(١) « التطور الحديث في الرأي العام الفرنسي تجاه نبيّ الإسلام » ص٢ : بحث قدمه الأب ميشيل لولون الأمين الدائم للأمانة الكاثوليكية للعلاقات مع الإسلام إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثاني بقرطبة ١٩٧٧

(٢) المصدر نفسه ص٣ .

تعرفون ، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملّتنا ، ويوقرون قديسينا وقسيسينا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا » [1] ، كما نستمع إلى شهادة أخرى يرويها (ر.و.سذَرن) حين يقول : « ويخطر ببالي في التوّ وليام المالمسبري WILLIAM OF MALMESBURY ـ الذي تعرض تواريخه شغفاً خاصاً بالسحر والأعاجيب . لكنه كان فيما أعلم ـ أول من فرق بوضوح بين أساطير عبادة الأصنام والخرافات الوثنية السلافية ، وبين التوحيد في الإسلام ، كما أكد ـ خلافاً للرأي الشعبي السائد آنذاك ـ أن الإسلام لا يعتبر محمداً إلهاً بل نبيّاً ، وقد سجل (وليام) هذه الكلمات سنة ١١٢٠م عندما كان سيل التزييف في هذا الباب طامياً » [2] .

أما في الحديث فإن المستر (هـ .ا.ر. جيب) رأى أن الإسلام قادر على تقديم خدمات حلّى ، للإنسانية كما هو قادر على تجميع الناس في حقول التعاون : « .. ولكن الإسلام له مزيد من الخدمات يؤديها لقضيّة الإنسانية .. ليس لمجتمع آخر مثل هذا السجل من النجاح في توحيد العدد المتباين من أجناس البشر ، مع مساواة في المقامات والفرص والاجتهادات .. وإذا كان لتباعد المجتمَعَيْن العظيمَيْن أن يزول ليحل محله التعاون فإن وساطة الإسلام شرط لابد منه » [3] .

وهناك الكثيرون من رجال الدين ومن العلماء المسيحيين ، يتخذون مواقف من الإنصاف لا تثير الإعجاب فحسب ، بل يقف المسلم المنصف تجاهها بإجلال وتقدير يملكان عليه كل مشاعره ، كيف لانقدر بكل التجلة والاحترام الأب جاكوب لانفري حين يتعالى في شموخ أصحاب الصفاء من أتباع الرسالات وهو يحمل نفسه وأمثاله وزر أخطاء السابقين ، ويطلب التوبة عنها : « على المؤمنين ، خاصة المسيحيين ، أن ينظروا

---

[1] أهل الذمة في الإسلام : الدكتور ا . س ترتون ، نقله عنه محمد الغزالي في كتابه « التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ص٣٨ .

[2] نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى : سذرن ص٥٢ .

[3] أين الإسلام ـ ا.ر.جيب ص٣٧٩ .

إلى أخطاء الماضي ، وأن يتوبوا عنها ، وأن يقدّروا ويقيّموا الأحكام المسبقة وأسباب سوء التفاهم الحاضرة ، وأن يحصوا الجهود التي بذلت بالتخفيف من حدتها وإزالتها ، وأن يتقدموا إلى الله بتضحيات وابتهالات ليشعر بها الفريق الآخر شعوراً أوفى ويدركها إدراكاً أكمل » [1] .

أما الكاردينال أنريكي ترانكون مطران مدريد ورئيس أساقفة اسبانيا ، فإنه يذكر المسلمين ، ونبيّهم عليه السلام بكل خير ، ويعدد لهم كثيراً من المزايا والسجايا فيقول : « .. إنهم يعظّمون المسيح كنبيّ ، وإن كانوا لا يعترفون به كإله . يحترمون أمه البتول مريم ، وأحياناً يذكرونها بكل تقوى . ثم إنهم يرتجون اليوم الآخر ، يوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث ، وهم - بالتالي - يقدرون الحياة الأخلاقية ويعبدون الله وخاصة بالصلاة والزكاة والصيام . وإذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين ، فإن المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع إلى نسيان الماضي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق ، والعمل المشترك لنصرة ومعاضدة العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » [2] .

وأما ماكان يوجَّهُ إلى الرسول محمد ﷺ من افتراءات ، فقد أخذ يلقى استنكاراً ممزوجاً بالغضب لدى صفوة من المفكرين ورجال الدين المسيحيين ، كما أن هالة احترام وإجلال حول صورته ﷺ بدأت تظهر في بعض كتابات هؤلاء المنصفين من الرجال ، فالكاردينال أنريكي ترانكون ومجموعة من الأساقفة الإسبان أعلنوا في كثير من التجرد ، وفي صدد الإعراب عن احترام نبيّ الإسلام ، أن البحث عن الموت بسبب عقيدة الآخرين قد يفوق الشهادة دفاعاً عن العقيدة ؛ ويعبر الكاردينال عن ذلك بقوله : « يجب أن نتجنّب استنكار الماضي بدون فائدة ، وأن نتذكر موقف الأساقفة المسيحيين

---

[1] بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي : لانفري ٣٧٣ .

[2] مكانة عيسى ومحمد في المسيحية والإسلام . بحث للكاردينال أنريكو ترانكون مطران مدريد ورئيس أساقفة اسبانيا - قدم للمؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثاني / قرطبة ١٩٧٧ .

المجتمعين بإيلبيرا قرب غرناطة حيث أعلنوا : إن الشهادة دفاعاً عن العقيدة لاتستوي والبحث عن الموت بسبب عقيدة الآخرين . إن سبّ محمد نبي الإسلام ، علانية أو مداراة ، ليس فقط نكراناً للحقيقة التاريخية والدينية ، بل انتهاكاً لحرمة إخواننا المؤمنين المسلمين . إن السب ليس سبيلاً إلى المحبة التي هي الفضيلة الأساسية في المسيحية »[١] .

ويستنكر المفكر الدكتور ميجيل كروث إيرناندث مدير عام الثقافة الشعبية بإسبانيا التجريح الظالم الذي وجه إلى نبيّ الإسلام : « ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلماً على مدى التاريخ مثل محمد ، كذلك لايوجد اتهام أساسه السياسة لا الدين مثل الاتهامات التي وجهت للإسلام »[٢] . كما يعترف الأب ميشيل ليلون بأن رواسب التعصب هي التي كانت تحكم من كانوا يتقولون على نبيّ الإسلام ويقول : « وفي هذا الصدد تجب الإشارة إلى أن شخصية نبيّ الإسلام محمد ، ما زالت غير واضحة ، بل وكثيراً ما تشوبها السلبية وروح العداء كنتيجة لرواسب التعصب الأزلية »[٣] . أما الأستاذ ميكيل إيبالثا الأستاذ بكلية الفلسفة والآداب واللاهوت بمدريد فإنه ، وهو أستاذ التاريخ ، قد درس بموضوعية حياة نبي الإسلام ، وأنصفه ، وأعجب به ، وكانت له آراء حوله طابعها النزاهة الممزوجة بالإعجاب إذ يقول في سياق بحث له عن الرسول الكريم : « حسناً . نحن الذين نعاني من هَوَس الدفاع عن المحمديين لأننا نعرفهم ، لا نخشى من تمجيد نبيّهم بإفراط . إذ من المحتمل أن يكون ذلك ، الفكرة الأكثر اعتدالاً التي يمكن إعطاؤها عنه ، وخاصة إن انطلقنا من فكرة أن الإسلام بدأ به »[٤] .

---

[١] مكانة عيسى ومحمد في المسيحية والإسلام : إنريكي ترانكون /٣ .

[٢] الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي محمد ـ د. ميجيل كروث ايرناندث ص١ ـ بحث قدم إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثاني بقرطبة ١٩٧٧ .

[٣] التطور الحديث في الرأي العام الفرنسي تجاه نبي الإسلام /٣ .

[٤] محمد الرجل التاريخي ـ الأستاذ ميكيل إيبالثا ص٣ ـ بحث قدم للمؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثالث بمدريد ١٩٧٧ .

ويقول عنه بإعجاب شديد : « إن محمداً ، وخلال مرور الزمن ، عرف في مجتمعه التصعيد الروحي ، وبدون أن يفقد مادية حياته ومحيطه . استطاع أن يبلغ مرتبة الرمز الإنساني والإلٓهي للمجتمع المؤمن ، دون أن تكون له الصفة الإلٓهية المباشرة التي تنسبها المسيحية للسيد المسيح » (١) ، ويرى نفسه أن محبة نبيّ الإسلام من شخص مسيحي هي هدية كريمة منه لأخيه المسلم ، أيّ مسلم : « إن شهادة الود والمحبة الشخصية ربما تكون أكثر قيمة لما يستطيع تقديمه لأخيه المسلم لدى الحديث عن محمد . أنا شخصياً أحس كل مرة نحوه بود أكثر وباهتمام أكبر ، فكلما درسته أكثر شعرت باعتزاز أكثر وتفهم أفضل لما يشعر به المسلمون نحوه » (٢) .

وكان هذا الرجل موضوعياً إلى أبعد حدود الموضوعية ، حين طالب بإعادة تقويم المواقف تجاه هذا النبي والاتجاه بها وجهة الحق تكفيراً عن أخطاء كثيرة سابقة بحقه : « .. أن نشدّد على المُسَلَّمَة الإيجابية التي سنأخذ بها لدى التأمل في شخصية وحياة محمد وتقييمها ، وهنا لا يتعلق الأمر بالانتقال من (الإدانة المطلقة) إلى وضع أكثر اعتدالاً ، بل بتغيير جذري في الممارسات من (التعبير المطلق) إلى (التقييم المطلق الإيجابي) ، يمكن أن يكون ذلك تحيّزاً ، ولكنه يمثّل تمريناً عقلياً جيداً ، لا تجانب نتائجه الحقيقة كثيراً . وهو ضروري جداً ، إذا أخذنا بالحسبان مجموع الأخطاء التي نحملها على أكتافنا » (٣) .

ما قدمناه من آراء منصفة وموضوعية ، صادرة عن مؤسسات وشخصيات مسيحية ، وما لم نقدمه منها ، وهو كثير ، هل هو كاف لتصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام وعن نبيّه في نفوس الغربيين : كهولهم وناشئتهم ؟ بالطبع لا ، وكل ما قيل في

---

(١) المصدر نفسه / ١٤ .

(٢) المصدر نفسه /٧ .

(٣) المصدر نفسه /٣ .

هذا التوجّه قطرة من بحر ، وهو أعجز من أن يصحح المفاهيم الراسخة في النفوس عبر مئات السنين . ويعترف كبار هؤلاء الرحال المنصفين بصعوبة التوصل إلى نتائج عملية لتصحيح المفاهيم الخاطئة السائدة ، ويرجون أن يكون الزمن مساعداً في ترميم الفجوات التي لا زالت تباعد بين المسلمين والمسيحيين في العالم .

يعترف بهذا الأمر كتابة ، وفي ندوة مشتركة ، الأب جاكوب لانفري حين يقول راصداً الواقع ومؤملاً للمستقبل : « .. وقد قال أحد المسؤولين في أمانة السر لغير المسيحيين : إن عمل هذه الأمانة يكون عملاً ممتازاً ، إذا توصلت إلى تبديل عقلية المسيحي في الغرب تجاه العالم العربي والعالم الإسلامي بنوع عام وتجاه الإسلام . لقد ابتدأت هذه الحركة وامتدت . إنما يجب أن لا يداخلنا وهم بأن المسيحيين تأثروا بها تأثراً كبيراً . يلزمنا كثير من الوقت لتتبدل العقليات ، وتنهزم الأحكام المسبقة ، وأن نمر أحياناً بتجارب مؤلمة ومآسٍ غير منتظرة . إن المسيحيين الواعين الباذلين قواهم في هذا الجهد يعرفون أن العمل يتطلب وقتاً طويلاً . ويرجون أصدقاءهم المسلمين ، ومن أجل الإسلام التحليّ بالصبر تسهيلاً لمهمتهم »[1] .

إنها لهجة صادقة وأمينة وموضوعية ، ولكن الرجل يعترف بقصور الوسائل القادرة على تغيير عقلية المسيحي الغربي حتى الآن ، وأن الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة وإلى متابعات مستمرة ، ويدعو في الوقت نفسه المسلمين والمسيحيين إلى عزم مشترك لتبديل الذهنيات والمواقف : « الجهود التي حصلت في الغرب في حقب مختلفة لفهم التجربة الدينية الإسلامية من الداخل ، لم تترك أثراً ، ولم تزعزع الأحكام المسبقة المتراكمة . فالمسيحي مدعوّ اليوم لوعيها وإدراكها ، ولقد طاب للمجمع الفاتيكاني الثاني (أن يدعو المسيحيين والمسلمين إلى تناسي الماضي وإلى التفاهم المتبادل ، بالرغم من الخلافات الكثيرة التي نشأت بينهم خلال التاريخ) . إنما تناسي الماضي لا يعني جهل نتائجه

---

[1] كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة ـ بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي /٣٨٣ .

الحاضرة ، لا يمكن ـ عكس ذلك ـ أن يتبادل المسيحيون والمسلمون الصفح إن لم يكونوا عازمين على تبديل ذهنياتهم ومواقفهم »[1] . كما حرص الأب لانفري على عرض تدابير اتخذت من قبل المؤسسات اللاهوتية ، بعد صدور الوثائق التي مرّ ذكرها سابقاً ، لوضع هذه الرؤى من التقويم والتصحيح موضع التنفيذ ، وأشار إلى ذلك بقوله : « .. لقد أتاح انتشار مثل هذه الوثائق عدة مبادرات جديدة أصلحت المواقف السابقة ، منها :

- إعادة النظر في بعض النصوص الدينية ، ونشر كتب مدرسية للشباب المسيحي يعرض فيها إيمان صديقهم المسلم بكثير من الاحترام والتفهم .
- ولقاءات إقليمية بين مسؤولين في الكنائس المحلية ، بين الكاثوليك والبروتستانت لوضع هذه الروح الجديدة موضع التنفيذ ، ومقاسمة اختيارات الحوار وحل القضايا والمنازعات التي يظهر فيها العامل الديني عنصراً أولياً .
- وندوات إسلامية مسيحية حيث تسمح الظروف المحلية »[2] .

أما الأب ميشيل ليلون فإنه يقدم مقترحات عملية لو نفذت لأعطت نتائج مثمرة ، فلنستمع إليه يقدم مقترحاته هذه حين يقول :

« يتعيّن الاستمرار في السنوات المقبلة في العمل على كافة المستويات ، بغرض إيجاد تعارف متبادل أفضل بين المسلمين والمسيحيين ، ويمكن تحديد هذا الجهد في النقاط التالية :

١ ـ تعديل مناهج التعليم بطريقة تهيئ للشباب المعرفة الموضوعية بالإسلام ونبيّه .

٢ ـ مساندة أكثر فعالية في الوسائل الإعلامية (إذاعة ـ تلفزيون ـ صحافة ..)

---

[1] المصدر نفسه / ٣٧٥ .

[2] المصدر نفسه : ٣٨١ .

٣ - في إطار الكنيسة :

آ - تعديل التربية الدينية بصورة تمكّن كل شاب مسيحي من معرفة العقيدة الإسلامية بشكل موضوعي ، والشعور بالأخوة نحوه ، وسبق أن أوحي بذلك بشكل خاص لدى المؤتمرات الأسقفية بأوربا .

ب - إجراء دراسة لاهوتية يشترك فيها مفكرون مسيحيون ومسلمون ، وفقاً للتوصية الصادرة عن ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس (فبراير ١٩٧٦) .

إن مثل هذه الدراسة ضرورية حتى يكون موقف المسيحيين تجاه نبيّ الإسلام نابعاً ، ليس فقط من منطلق الاهتمام بحقيقة تاريخية ، بل وأيضاً من احترام ديني وأخوي لعقيدة المسلمين ، وهي ضرورية أيضاً لكي يحترم ويدرك كل المجتمع الإسلامي ـ الذي يكرم عيسى ويرى فيه المسيح رسولاً من الله ـ العقيدة المسيحية بمفهومها وواقعها داخل الكنيسة [1] .

---

[1] التطور الحديث في الرأي العام الفرنسي تجاه الإسلام ص٥ : لولون بحث من أدبيات المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني بقرطبة ١٩٧٧ .

ضرورات الحوار

الحوار وسيلة من وسائل التفاهم بين الأفـراد بعضهـم مـع بعـض ، وبـين الجماعـات بعضهم مع بعـض أيضـاً . وإذا اقـترن الحـوار بالإنصـاف ، كـان مـن أنجـع الوسـائل في تصحيح المفاهيم الخاطئة ، وفي التقريب بين المتباعدين ، وبالتالي فإنه يصبح ضـرورة مـن ضرورات الوصول إلى الحق .

وإذا كان بين المسلمين والنصـارى ركـام مـن سـوء التفـاهم النـاجم عـن عصبيـات سابقة ، وعن أحكام مسبقة خاطئة ، فقد آن لهم في العصر الحديث ، وقد توسعت آفاق المعرفة إلى أبعاد لم يكن يتصورها أي إنسان ، أن يعرفوا بعضهـم معرفـة حقيقيـة بعيـدة عن الزيف للوقوف معاً في تحقيـق الأهـداف الكـبرى الـتي تدعـو إليهـا الأديـان ، والـتي تحرص على إسعاد الإنسان في دنياه وفي أخراه ، ولا يمكـن أن تتـم هـذه المعرفـة إلا عـبر ألوان من الحوارات الهادفة والبنّاءة .

ولهذه الحوارات الهادفة والبنّاءة ضوابط : منها الإنصاف ، وقد أكدناه سابقاً ، ومنهـا احترام المحاور لمحاوره في نفسه وفي ما يعتقد ، ومنها اعتبار كلٌّ من المتحاورَيْن أن محاوره ندٌّ له يساويه في كل الخصائص المطلوبة للحوار .

إن النظر الإسلامي للحـوار يتضمـن كـل هـذه الضوابـط ، ويضيـف إليهـا ممهـدات أخلاقية تسمح برعاية الخصم وتكريمه ومن ثمّ تسمح للحوار أن يفرز جدواه المرغوبة .

هذه الممهدات يكون لها دور فاعل في إحاطة أجواء الحوار بالود والتقدير حتـى قبـل لقاء المتحاورين ، من ذلك تلك الوصايا التي أكّدها القرآن الكريم في آيات كثيرة منـه ، منها قوله تعالى : ﴿ ويدرءون (أي المؤمنون) بالحسنة السيئة ، ومما رزقنـاهم ينفقـون ، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ، وقالوا : لنـا أعمالنـا ، ولكـم أعمـالكم سـلامٌ عليكـم لا نبتغي الجـاهلين / القصـص ـ٥٤ـ٥٥ ﴾ ، ومنهـا : ﴿ وإذا مـروا بـاللغو مـرّوا كرامـاً /

الفرقان ـ ٧٣ ﴾ ، ومنهـا : ﴿ ولـو شـاء ربـك لجعـل النـاس أمـة واحـدة ، ولا يزالـون مختلفين / هود ـ ١١٨ ﴾ ، ومنها : ﴿ ولو شاء ربك لآمن مَنْ في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين / يونس ـ ٩٩ ﴾ ، ومنها قوله سبحانه : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء / القصص ـ ٥٦ ﴾ ، ومنهـا كذلـك قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين / البقرة ـ ٢٥٦ ﴾ .

هذه الممهدات الواضحة والتي لا تحتاج إلى أي تعليق ، تجعل العلاقـات بـين النـاس ، ولو كانوا مختلفين في العقائد والاتجاهات ، علاقات قائمـة علـى الاحـترام ، وبعيـدة عـن فكرة التخاصم ؛ الأمر الذي يجعل جو الحوار ـ أيّ حوار ـ جـواً مشـحوناً بالإيجابيـات المسبقة التي تساعد على إنجاحه .

أمافي الحوار ، فإن أول مسلّمة يطلبها الإسـلام مـن المسـلم أن يشـعر محـاوره أنهمـا متساويان ، وأن آيّاً منهما قد يكون قبل الحـوار علـى صـواب أو علـى خطـأ ، وبذلـك يشعر المحاور أن محاوره المسلم منصف ، يؤيد هذا ما جاء في القرآن الكريم علـى لسـان المؤمنين في تقرير المساواة بين المتحـاورين : ﴿ وإنّـا أو إيّـاكم لعلـى هُـدىً أو في ضـلال مبين / سبأ ـ ٢٤ ﴾ . بل يجعل الإسلام المسؤولية في عمل أي إنسان مـن خـلال منطـق الحوار مسؤولية ذاتية ، لا علاقـة للطـرف الآخـر المحـاور بهـا : ﴿ قـل لا تسـألون عمـا أجرمنا ، ولا نسأل عمـا تعملـون / سـبأ ـ ٢٤ ﴾ ، ونلاحـظ أن المحـاور المسـلم حمّلـه الإسلام تبعة عمله في كثير من التشديد على افتراض أنه أخطأ : ﴿ قـل لا تسـألون عمـا أجرمنا ﴾ ، في الوقت الذي جعل تبعة المحاور غير المسلم خفيفة بعيدة عن التشدد ﴿ ولا نُسأل عما تعملـون ﴾ . وحـضّ الإسـلام المحـاور المسـلم علـى المجادلـة الحسـنة ، تأليفـاً للقلوب وتلطيفاً لجو الحوار ، لكـي يـأخذ أبعـاده في الوصـول إلى قناعـات مشـتركة في القضايا المطروحة للحوار : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمـة والموعظـة الحسـنة وجـادلهم بالتي هي أحسن / النحل ـ ١٢٥ ﴾ .

وقد يكون مناسباً ، أن نستخلص من الآيات السابقة المنهج الـذي يرتضيه الإسـلام للحوار ، والذي يقوم على احترام الخصم المحاور واحترام آرائه ومعتقداته ، والتسليم له بحق الاعتقاد بما يشاء ، وعلى منحه حق المساواة مع محاوره المسلم ، مع التحلّي بالإنصاف وباللطف في التعامل . وقد تمثل علماؤنا الكبار بهذه القيم في مواقفهم مع مخالفيهم في الآراء ، حتى من المسلمين ، وتركوا مساحة لتراجعهم عما يعتنقون من رأي إذا ثبت خطؤه ، وتركوا في ذلك قواعد تصلح للائتساء بها ، من ذلك قول الإمام أبي حنيفة : « علمُنا هذا رأي ، وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن منه كان أحق » ، ومثله قول الإمام الشافعي : « رأيي هذا صوابٌ يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب » .

هذا ، ولا بد من الإشارة إلى أن هناك لوناً مرفوضاً من الجدال ، هو الجدال العبثي الذي يراوغ ، ولا يبتغي الوصول إلى الحقيقة ، بل يكون غرضه التمويه والبعد عن الحق ، وقد جاء ذكره في قوله تعالى : ﴿ وجادَلوا بالباطل ليدحضوا به الحق / غافر - ٥ ﴾

لقد وضع الإسلام ضوابط للحوار مع غير المسلمين ، باعتبار الحوار الوسيلة المثلى في الدعوة إلى الله سبحانه ، وقد شدّد الإسلام على مجادلة أهل الكتاب بالذات بالحسنى .

وللمجادلة صور ، لعل من أبرزها في العصر الحديث لقاءات الحوار الإسلامي المسيحي .

إن الحوار الإسلامي المسيحي لا يهدف إلى إقناع أي طرف بالتخلي عن معتقداته ، وهذا غير وارد ، ولكنه يهدف ، إلى لقاء معتنقي الدينين السماويين ، على أرضيه مشتركة ، هدفها الدعوة إلى الإيمان وما يقتضيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في عصر تتكالب فيه قوى الشر على محاربة القيم الدينية والإنسانية . ومما يبشر بالخير أن المؤسسات المسيحية العليا كالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ، كانت لها مبادرات طيّبة نحو تأثيل صروح الحوار لطيّ صفحات وفتح صفحات ، فقد أنشأ الفاتيكان ، سنة ١٩٦٤ كما مر بنا ، « أمانة سر للعلاقات مع غير المسيحيين » . كما أنشأ ضمن هذه الأمانة « أمانة سر فرعية للإسلام » ، وحدّد مهمتها بضرورة تنمية الحوار الإسلامي

المسيحي ، والانطلاق به إلى كل أبعاده ، وقد انبثق عن هـذه الأمانة عـدد مـن نـدوات الحوار الإسلامي المسيحي . كما سمعنا عن مبادرات للكنيسة الأنغليكانية تصب في نفس اتجاه الحوار والتفاهم الإسلامي المسيحي ، وكانت آخر هذه المبادرات تلك الزيـارة الـتي قام بها رئيس الكنيسة الأنغليكانية في العالم رئيس أساقفة كنتربري « جـورج كـاري » إلى لبنان ، زار خلالها مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني ورئيـس المجلس الإسلامي الشيعي محمد مهدي شمس الدين ، ووصف كاري أجواء هذه اللقـاءات بأنهـا رائعة وعظيمة ، وأن محور الأحاديث فيها كان يدور حول ضرورات الحـوار الإسـلامي المسيحي ، وأدلى بتصريح قال فيه : « إن الديانتين الإسلامية والمسيحية تكن كل واحدة للأخرى أعمق الاحترام ، ويجب توطيد العلاقة عبر المزيد من التفاهم لإحلال السلام بين الجميع ، مشيراً إلى تنشيط الحوار الإسـلامي المسـيحي في العـالم لتحقيـق هـذا الهـدف » [1] ، يضـاف إلى ذلـك تلـك التوصيـات العمليـة الـتي صـدرت عـن المجمـع المســكوني الفاتيكاني الثاني ، التي تؤكد احترام الإسلام ، وتطلـب تنقيـة صورتـه لـدى المسـيحيين وتدعو إلى مزيد من اللقاءات والحوارات الإسلامية المسيحية .

وتحقيقاً لهذه الأهداف من الناحية العملية صدر كتاب « توجيهات لإقامة حوار بـين المسيحيين والمسلمين » ؛ كل هذه الأمور تحرص علـى ترسـيخ رغبـة الجهـات المسـيحية المختلفة في فتح أبواب جادة للحوار مع المسلمين .

ويرى المسيحيون ، كما رأى المسلمون ، أن للحوار ضوابط مشتركة يجب أن تتوافر ليكون الحوار ناجحـاً ، يقـول الأب موريـس بورمـانس في ذلـك : « إن الأصـل الأوليّ للحوار الحقيقي الاحترام الكامل لمعتقدات الغير ومعاملاته الدينية ، ثم يستهدف تحسـين التعاون والتفاهم في البحث عن مقاصد الله الخفية ، فينشأ ويتطور في المـودة والوضـوح والوداعة والثقة المتبادلة ، وأخيراً في الصبر الجميل » [2] .

---

[1] جريدة الكفاح العربي ـ الأربعاء ١٩٩٩/٢/٣ ص٤ .

[2] مواقف المسيحيين تجاه التصور الإسلامي ليسوع المسيح : موريس بورمانس ص١ (أدبيات المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثاني بقرطبة ١٩٧٧) .

لقد لخص الأب [1] فرانسوا أبو مخ (عضو الفريق المسيحي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ١٩٧٦ - وعضو لجنة الصياغة فيها) أهداف أي حوار إسلامي مسيحي بالأمور التالية :

١ - الحاجة إلى نوع من المجاملة المتبادلة .

٢ - التخلي عن ماضٍ غير معقول من ثلاثة عشر قرناً من اللاتفاهم .

٣ - تعميق فكرة (الله) . إن إلهنا المشترك ليس إله الحرب . إنه الله الذي يوحّد البشر ولا يرضى تفرقهم .

٤ - إيجاد نوع من التفاهم على مستوى القيم الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

٥ - المواجهة معاً للمجتمعات الآلية التي تعطي الأفضلية للضرورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتضعف نفوذ كل ما يتعلق بالأديان » [2] .

وإذا كانت هذه هي المواقف الحديثة للكنيسة المسيحية بمختلف اتجاهاتها ، وهي مواقف منصفة وصادقة ، ويتقبلها المسلمون في احترام وفي تقدير كبيرين وفي استجابة صادقة ، فإن أصواتاً أخرى ، من خارج صفوف الكنيسة ، ومن خارج صفوف الملتزمين بدينهم المسيحي ، ومن غير العابئين بالقيم المنبثقة عنه ، تتعالى لتوسيع الشقة بين المسلمين والمسيحيين خدمة للمصالح السياسية الغربية وللسياسة الأمريكية منها بشكل خاص ، والتي تتجلى في دعاوى « العَوْلَمة » التي تستهدف تذويب الحضارات في الحضارة الأمريكية وفي قيمها ، وهي قيم غير دينية . إنّ الحديث عن (العولمة) ليس من اهتمامات هذا البحث ، ولكن الجانب المتصل منها بحوار الحضارات أو بصدام الحضارات هو الذي يلفت النظر ، إن فلاسفة (العولمة) من فرنسيس فوكوياما في

---

[1] لقد رقّي فيما بعد إلى رتبة مطران وأسند إليه منصب نيابة البطريركية بدمشق .

[2] جريدة « لاكروا » الفرنسية في ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٥ عن وثائق وبحوث ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ١٩٨١ .

كتابه « نهاية التاريخ » [1] الذي يرى فيه أن الحضارات ستذوب في الحضارة الأمريكية، إلى صاموئيل بي ــ هانتيغتون ــ أستاذ نظم المعلومات ومدير معهد جون إم أولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد في دراسته عن (البيئة الأمنية المتغيّرة والمصالح القومية الأمريكية) ، والتي وضعها في إطار مشروع لمعهد أولين ، والتي نشرها في كتاب عنوانه : « الإسلام والغرب ـ آفاق من الصدام » [2] الذي يجعل الإسلام ــ على الرغم من ضعف المسلمين اليوم ــ في مواجهة الغرب ، وينقل عنه وصفاً مرعباً هو « الخطر الأخضر » [3] ، ويحذر من تحالف حضارته مع الحضارة الكونفوشيوسية [4] ، ويطالب بالعمل على إحباط ذلك ، كما يؤكد أن هناك صداماً بين الحضارة اليهودية المسيحية والحضارة الإسلامية .. وهو صدام تاريخي مستمر وذلك حين يقول : « وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه أكثر من صراع بين الحضارات » ، ويستشهد بقول كاتب إسلامي هندي هو (ام جي أكبر) يؤكد أن « المواجهة القادمة للغرب تتجه بلا ريب لتأتي من العالم الإسلامي » [5] ، كما يستشهد بقول للكاتب بيرنارد لويس يصب في نفس الاتجاه حين يقول : « إننا نواجه مزاجاً وحركة تتجاوز كثيراً مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تنتهجها ، وليس هذا أقل من صراع بين الحضارات متمثلاً في رد فعل غير رشيد ، لكنه تاريخي بالتأكيد **من جانب منافس قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحي ، وضد حاضرنا العلماني فضلاً عن الانتشار العالمي لكليهما »** [6] .

لقد رأى كثير من المفكرين خطر « العولمة » على الهويات الدينية المختلفة ، وعلى الثقافات المختلفة ؛ الأمر الذي يستدعي ردود فعل لتحديها ، وللمفكر المصري جلال

---

[1] نهاية التاريخ : فرنسيس فوكوياما ، ترجمة دار البيادر ـ القاهرة ١٩٩٠ .

[2] الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام : صاموئيل بي ـ هانتغتون ـ ترجمة مجدي شرشر ــ مكتبة مدبولي ــ مصر ١٩٩٦ .

[3] انظر الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام : ص٦١ .

[4] انظر الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام ص٥٤ .

[5] انظر الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام ص٢٦ .

[6] الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام ص٢٦ .

أحمد أمين ، رأي واضح في ذلك ، وإن كان لا يعالجه من منظور ديني إسلامي أو مسيحي ، ولكنه يرى الخطر عاماً ، فهو يشمل أصحاب جميع الأديان : « في معركتنا للحفاظ على هويتنا الثقافية لنا أنصار حقيقيون منتشرون في مختلف أنحاء الأرض ، يتمثلون ليس فقط في أصحاب الديانات الأخرى التي تتعرض مثل ديننا للقهر ، ولا يتمثل هؤلاء الأنصار فقط في أصحاب القوميات الأخرى ، التي تتعرض هويتها الثقافية لغزو ثقافات مغايرة تحمل أسلحة أقوى وأموالاً أكثر ، بل لدينا نصير وحليف حقيقي في كل من يرى مثلنا الخطر الداهم الذي ينطوي عليه المجتمع التكنولوجي الحديث ، الذي يهدد تفرّده وإنسانيته وهويته ، فإلى جانب حركات الدفاع عن الطيور والحيوانات المهددة بالانقراض داخل المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً ، هناك بلا شك داخل هذه المجتمعات نفسها من يقلقهم أيضاً الخطر الذي يهدّد آدمية الإنسان وثقافات الأمم الأخرى المهددة بالانقراض » [1] .

ولا نريد أن نسترسل في الحديث عن « العولمة » ، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن تحالف المؤمنين ، وبخاصة من أتباع الدينين الإسلامي والمسيحي ، إن استمرت وتيرة اللقاءات والحوارات بينهما في تصاعد ، ونجحت في إزالة الرواسب القديمة القائمة على تصورات خاطئة ، فإن هذا التحالف الإسلامي المسيحي يمكن أن يصبح خطراً حقيقياً على التحالفات المادية (الوثنية الجديدة) ، التي تهدف إلى السيطرة على العالم ، لإخضاعه لثقافتها وقيمها وهي قيم بعيدة عن روح الأديان وعن مثلها الأخلاقية ، وما أصدق قول الأب بورمانس بأن هذه الوثنية تتجدد في صور حديثة يدعمها العلم والمال ، فهي بذلك أقوى بكثير من تلك الوثنيات القديمة : « نحن مضطرون أن نعترف بأن الوثنية ، مع جاهليتها ، تتوالد توالداً متجدداً بدون انقطاع ، وبأن الأوثان الجديدة هي أقوى من القديمة بكثير ، تلك الأوثان التي تستبد بالمخلوقات والعباد باسم الدولة أو الجنس أو المال ، باسم التقنية أو الإنتاج أو الاستهلاك ، باسم السمعة الفارغة أو الحرية الفاسدة أو السعادة المزيّفة . نعم ، إن الإنسان اليوم ينتظر تحريراً جديداً يمكّنه من

---

[1] العرب والغرب والعولمة : ص٧٤ .

الاعتراف با لله ، فبذاته وبإنسانيته . أليس الكفاح في سبيل تحرير إخواننا من جميع أنواع الاستبداد هو الموطن الثاني الذي نجتمع فيه نحن المسلمين والمسيحيين [١] .

إن الاستراتيجية التي يجب اعتمادها في العلاقات الإسلامية المسيحية هي استراتيجية التواصل والحوار ، لا استراتيجية الصراع والصدام ، لأن استراتيجية الحوار هي القادرة على بناء جسور المودة والثقافة وعلى تأسيس علاقات إيجابية بين الطرفين ، وهذا ما رآه وأكده قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بقوله : « إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى ، فهو ينتج عن إخلاصنا لله ، ويُفترض أن نعرف كيف نعترف با لله بواسطة الإيمان ، وكيف نشهد له بالقول والفعل في عالم لا يزيد مع الأيام إلا دنيوية ، بل إلحاداً في بعض الأحيان » [٢] .

إنّ الهدف من الحوار الإسلامي المسيحي هو لقاء أبناء الأديان السماوية للعمل معاً لخدمة البشر ، ولتحقيق أقصى قدر ممكن من الأمن والسلام ، ولعل تصريح الكاردينال بينييدولي قبيل عقد ندوة الحوار الإسلامي بطرابلس عام ١٩٧٦ ، يوضح هذا الهدف بجلاء حين يقول : « إن هذا العمل الذي تبنّته الجمهورية العربية الليبية ودولة الفاتيكان يهدف إلى خدمة البشرية في العالم أجمع ، لأننا نعمل من أجل التقاء الديانات السماوية حتى يعم الاستقرار والأمن والسلام ، إن هذا التجمع الكبير بين المسلمين والمسيحيين الذي ستشهده طرابلس في المدة القريبة ستكون له نتائج إيجابية هامة » [٣] .

ونظراً لحجم هذه الندوة ـ ندوة الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة بطرابلس عام ١٩٧٦ ولنجاحها ، ولنتائجها على المستويين النظري والعملي ، فقد يكون مناسباً إثبات توصيات ومقررات هذه الندوة ، فهي تتكشف عن الروح الصادقة التي استدعت هذا الحوار ، والتي قيضت له قدراً كبيراً من النجاح ، والتي نأمل أن تطّرد المساعي الخيّرة لضمان استمرار هذه الروح ، تلبية لحاجة الإنسانية الملحة لها في هذه الظروف الكونية التي استشرى فيها الظلم والفساد .

---

[١] بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي : ص٣٣٠ .

[٢] وسائل عصرية ص١٩ .

[٣] بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ص١٠٣ .

توصيات ومقررات

ندوة الحوار الإسلامي المسيحي

المنقعدة في طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٦

تحت شعار :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

و « لنبحث إذاً عما يعزز السلام والأخوة »

وفي جو من الثقة والتفاؤل ، واضطلاعاً بالمسؤولية المشتركة تجاه مستقبل الإنسان الذي يتهدده الخطر الحقيقي ، انعقدت ندوة الحوار الإسلامي ـ المسيحي في مدينة طرابلس بالجمهورية العربية الليبية ، في الفترة الواقعة ما بين الأول والسادس من شهر صفر ١٣٩٦هـ ، الموافق لما بين الأول والسادس من شهر فبراير ١٩٧٦م ، بدعوة من الجمهورية العربية الليبية ودولة الفاتيكان ، وقد شارك في هذه الندوة مجموعة من المفكرين المسلمين والمسيحيين من عدد من بلاد العالم ، وحضرها مراقبون من علماء الدين الإسلامي ، ورجال الدين المسيحي من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ، ومن رجال الفكر والسياسة والصحافة والإعلام قَدِموا من أكثر من ستين دولة من دول العالم .

لقد كان الهدف من عقد هذه الندوة إيجاد جو جديد من الثقة المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، وذلك بالعمل على إزالة الرواسب والعقد المتخلفة من فترات التباعد والخصام والاستعمار ، وتقصي الأسباب الحقيقية لها ، وبذل الجهود المشتركة لاستئصالها ، والحرص على مد جسور من التفاهم والتعاون بين معتنقي الدينين ، بغية إيجاد المناخ الملائم الذي يساعد على تفهم ما يعانيه الإنسان المعاصر من

أزمات مادية وروحية ، وتقديم الحلول العملية لها ، وهم واثقون أن الدين هو المصدر الأصيل الذي يقدر على ذلك ، لأن الدين ليس مجرد قيم روحية فحسب بل هو يشتمل أيضاً على التنسيق بين أوضاع المادة وأشواق الروح .

إن الإنسانية تئن اليوم من وطأة مظالم كثيرة ..

وإن الإنسان اليوم ليعيش في دوامة من الفراغ والقلق والغربة الروحية والبعد عن الطمأنينة والسعادة . إنه يصطلي الجحيم الذي سببه الطغيان المادي على العالم ، والذي أخذ يحجب جذوره عن منابع الخير والحق والرحمة ، هذه المنابع التي يمثل الدين مصدرها الحقيقي الأصيل ..

إن الكفاح من أجل تحرير الإنسان من أنواع الجهل والظلم والاستبداد والاستغلال هو من صميم الدين ، وهو بالتالي من واجبات كل متدين ، وإن هناك أولويات لا يمكن لأي دين إلهي أن يتراخى بشأنها ، أو يتهاون في الدفاع عنها :

منها كرامة الإنسان وحقه في الحياة ، والحرية ، وفي العدل والمساواة .

ـ وفي ظل هذه المعاني قدمت للنقاش الموضوعات التالية :

١ ـ هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة ؟

٢ ـ الأسس المشتركة في المعتقدات ، ومواطن اللقاء في جميع ميادين الحياة .

٣ ـ العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله .

٤ ـ كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا زالت تفرق بيننا .

وقد ساهم في عرض كل موضوع باحثان ، أحدهما مسلم والآخر مسيحي ، كل من وجهة النظر التي يمثلها ، وجرى تحاور إيجابي اتسم بالصراحة والوضوح ، في مناخ من حرية الفكر المقترنة بالالتزام الذاتي بالمسؤولية ، أكد فيه الجانبان قدرة الدين على استيعاب الظروف المتطورة للعصر .

واتفق الطرفان على أن الدين هو أسمى من كل ايديولوجية ، وأكد الجانب الإسلامي قدرة الإسلام على إقامة نظام للحياة وللمجتمع صالح لكل زمان ومكان ، من خلال نظرة شمولية للكون وللحياة تتسم بالأصالة والتوازن والواقعية ، كما أكد الجانب المسيحي أن الدين المسيحي يهتم في المقام الأول بالجانب الروحي ، ويرى لزاماً عليه - بوصفه ديناً - أن يلهم الإيديولوجيات .

كما استعرض الطرفان قضايا العقيدة في كلا الدينين ، وأكدا تلاقي الديانتين في الإيمان با لله الواحد الأحد ، رغم التباين في تصوراتهما لعدد من مسائل العقيدة ، كما أكدا ضرورة العمل المشترك لتعزيز القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية وسعادة الإنسان .

وقد تلاقت وجهات نظر الجانبين على أن العدل الاجتماعي هو ثمرة طبيعية للإيمان با لله ، لأن الظلم بأي شكل من أشكاله يغاير روح الدين ونصوصه ، وقد أكد الجانب الإسلامي أن الإسلام يقدم نظاماً متكاملاً للعدل الاجتماعي بكل جوانبه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية ، كما أكد الجانب المسيحي أن الدين المسيحي يوجه الإنسان في سلوكه ليحقق العدل الاجتماعي ، وأن للكنيسة كثيراً من المبادرات في التعليم الاجتماعي وتطبيقه .

وفي جو من الصراحة والرغبة الصادقة في تجاوز أخطاء الماضي ، وفي فتح صفحة جديدة من العلاقات القائمة على التفهم والتعاون ، استعرض الجانبان كثيراً من القضايا التي كانت أسباباً للعداء وإثارة الشكوك وضعف الثقة ، والتي باعدت بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، واستمع الطرف الإسلامي بارتياح إلى فقرات من التصريح الصادر عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، وبخاصة تلك الفقرات التي تتعلق بالنظرة الجديدة إلى المسلمين ، ورأوا فيها بادرة طيبة تساعد على طي صفحات الماضي التي أصبحت ملكاً للتاريخ ، واتفق الطرفان على فتح صفحة جديدة قائمة على الاحترام والتعاون والعمل المشترك لخير الإنسانية .

وحرصاً على تحقيق الغاية النبيلة التي من أجلها عقد الحوار ، اتخذت الندوة المقررات والتوصيات التالية :

١ ـ يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد ، ويوصيان بالعمل الدائب صفاً واحداً وجبهة واحدة من أجل تعميق القيم الدينية والأخلاقية في النفوس .

٢ ـ يكرّم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها ، ويستنكران التعرض بالمساءة لهم أو التجرؤ على مقامهم لأن في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم .

٣ ـ يؤكد الجانبان أن الدين في جوهره هو مصدر الالتزام الخلقي ، وأنه الضابط الأساسي لسلوك الأفراد والجماعات والدول .

٤ ـ أن تنظيم الحياة لا يمكن أن يتم في معزل عن الدين الذي يرسم للبشرية سبل الهداية والرشاد ، وعلى هذا فإن الجانبين يؤكدان أن الدين هو أساس التشريع الصحيح ، وأن كل تشريع يتفرد الإنسان بوضعه لا يبلغ حد الكمال .

٥ ـ يؤكد الجانبان أن الإيمان بالله يقتضي بالضرورة الوقوف مع الحق حيثما كان ، والانتصار للإنسان ولكرامته ولرخائه . وهما يهيبان بجميع القوى الخيرة في العالم إلى تجسيد هذا المعنى في سلوك الأفراد والجماعات والشعوب والدول ، حتى تقف ضد الظلم مهما كان شكله ، وتنتصر لكرامة الإنسان ورخائه وحريته .

٦ ـ وانتصاراً لكرامة الإنسان يعلن الجانبان رفضهما واستنكارهما للتمييز العنصري بجميع أبعاده وأشكاله ، لأن في ذلك انتقاصاً من قيمة الإنسان الذي كرمه الله .

٧ ـ ولتحقيق الرخاء الإنساني يؤكد الجانبان حرصهما على التوصية بضرورة توحيد الجهود لوضع برامج التنمية في خدمة البشرية ، من حيث التخطيط والتوزيع والمعاملات الدولية ، لأن وجود ملايين الجياع والعراة في أرجاء المعمورة هو وصمة عار في جبين الإنسانية كلها ، وفيه إساءة إلى كل القيم الدينية ، وعليه

فإن الجانبين يناشدان جميع الدول والهيئات والمؤسسات الدولية التي تتصل مهامها بقضايا التنمية ، أن تضع في اعتبارها الأول هذا المعنى .

٨ ـ يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الديني وإقامة الشعائر الدينية وحق الأسرة في تنشئة أبنائها تنشئة دينية .. ويستنكران الاضطهاد الديني في كل صوره وأشكاله ، ويعتبران الأنظمة والنظريات التي تضطهد المؤمنين أنظمة لا إنسانية .

٩ ـ يؤكد الجانبان أن السلام من رسالة الدين ، ويتطلعان إلى تحقيقه على أساس من الحق والعدل ، ويناشدان الدول التي تمتلك الأسلحة الفتاكة أن تكف عن إنتاجها ، وأن توظف طاقاتها في خدمة الأغراض السلمية لتحقيق خير الإنسانية ورفاهيتها .

١٠ ـ إن الجانبين يعتقدان أن الدين تصور شامل للكون وللوجود ، ويؤكدان أنّ العلم جزء منه ، وأن كل تقدم في ميدان العلم يعطي براهين جديدة على عظمة الله الذي أبدع الكون في أحسن تقويم ، ونظمه وفق سنن ونواميس يكشف العلم كل يوم دقتها وإعجازها ، أن العلم يجب أن يبقى دائماً في خدمة الدين ، وملتزماً بقيمه ومثله ومتوجهاً إلى خدمة الإنسانية ، وبذلك يغدو عاصماً من الإلحاد والانحراف اللذين يفتكان بكثير من شباب العالم ، عندما يتصورون خطأً أن العلم يناقض الدين ، إن العلم حين يعزز الإيمان يستطيع أن ينجح في تصفية كثير من مشكلات الشباب .

١١ ـ نظراً لما للشبيبة من دور فعال في بناء المستقبل ، فإن الجانبين يوصيان بضرورة الاهتمام بمناهج التربية ووسائلها في المعاهد والمدارس ، بحيث يكون من أهدافها الأساسية غرس القيم الدينية والفضائل الخلقية في النفوس ، وأن تخلو من كل ما يسيء إلى العقيدة والأخلاق والتفاهم بين الشعوب .

١٢ ـ إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات ، ويدين كل محاولة ترمي إلى مصادرة تلك الكتب ، أو منع تداولها في أي جزء من أجزاء العالم .

١٣ ـ يتمنى الجانب المسيحي على الجانب الإسلامي ، أن يواصل الأبحاث التاريخية والتفسيرية الرصينة المتعلقة « بتقييم » الكتاب المقدس « تقييماً » علمياً صحيحاً

١٤ ـ يرغب الجانب الإسلامي إلى الجانب المسيحي أن يبذل كل المساعي والجهود المؤدية إلى فصل الكنيسة عن مسجد قرطبة ، والعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ممكنة .

١٥ ـ يوصي الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع ماورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب المدرسية ، وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف ، وذلك بغية تصحيحها وفق معتقدات أصحابها . وقد تقبل الجانب الإسلامي بالتقدير مبادرة الجانب المسيحي بالوعد باستشارة العلماء المسلمين في كل ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له .

١٦ ـ إن التراث الحضاري والثقافي هو ملك للإنسانية كلها ، ومن حق الإنسانية أن تتلقى هذا التراث تلقياً صحيحاً . ونظراً لظروف التوحس السابقة بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، فإن الجانبين يتوجهان إلى الجامعات وإلى المعاهد الدينية واللاهوتية لاستضافة أساتذة زائرين من كلا الدينين .

١٧ ـ وفي سبيل التعاون الحقيقي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، يوصي الفريقان بالكف عن المحاولات الرامية إلى صرف المسلمين عن معتقداتهم من قبل المسيحيين ، أو صرف المسيحيين عن معتقداتهم من قبل المسلمين .

١٨ ـ إن لبنان العزيز على قلوب المسلمين والمسيحيين قد تعرض لفتنة ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء ، وقد حاول بعض أصحاب الأغراض من داخل لبنان ومن خارجه أن يصوروا الصراع على أنه طائفي بين المسلمين والمسيحيين . إن هذا الافتراء لا يسيء إلى المسلمين وإلى المسيحيين في لبنان فحسب ، بل يهدف إلى نسف محاولات التقارب الجادة والصادقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي ، وعلى هذا فإن الجانبين يستنكران الفتنة التي قامت في لبنان ،

ويستنكران صبغها بالصبغة الطائفية ، ويشجبان كل محاولة للتقسيم أو لتشويه روعة التعايش السمح الذي تعيشه كل العائلات الروحية في لبنان .

١٩ - ورغبة في تضييق الهوة بين الدول المتقدمة علمياً والدول النامية ، وإيماناً بحق جميع الشعوب في التقدم ، فإن الجانبين يتوجهان إلى المنظمة الدولة للتربية والعلوم والثقافة « اليونيسكو » « U.N.E.S.C.O » ، من أجل إصدار ميثاق علمي تعتمده هيئة الأمم المتحدة « O.N.U » ويضمن لكل الشعوب الحق في الحصول على التطور العلمي والتقنية وطرائقها وألا يحجب هذا الحق عن العالم الثالث بشكل خاص ، وأن تستحضر جميع المؤتمرات التي تدرس قضايا الموارد الأولية ضرورة العمل على تقديم التقنية وطرائقها إلى الدول النامية التي تقدم تلك المواد . إن تحقيق ذلك يجنب العالم انفصاماً ممكن الحدوث بين العالم الثالث والعالم المتطور .

٢٠ - إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام ، وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية ، باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين وعن كل منطقة الشرق .

٢١ - إن التزام الحق والعدل ، والحرص على السلام والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وحقه في العودة إلى دياره ، وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل ، واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة ، ويطالب الجانبان بإطلاق سراح جميع المعتقلين في فلسطين المحتلة ، وفي طليعتهم علماء المسلمين ورجال الدين المسيحي ، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة ، ويدعوان إلى تشكيل لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير معالم الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي ..

٢٢ - وإذا ما وجدت ظروف عسيرة أخرى ، كما هي الحال في الفيليبين ، فعلى كلا الجانبين المبادرة المشتركة لإيجاد المساعي الفعالة التي تؤدي إلى الحلول الملائمة بروح من العدل والإنصاف .

٢٣ - قرر الجانبان تشكيل لجنة متابعة دائمة مشتركة تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات السابقة ، ومتابعة كل ما يجد من قضايا تتعلق بها .. كما تكلف بالإعداد للندوات المماثلة المقبلة .

٢٤ - وبكل تقدير وإكبار يحيي الجانبان سيادة الأخ العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة ، الذي رعى هذه الندوة ، وشارك مشاركة إيجابية في مناقشاتها ، وكان لاهتمامه البالغ بها الأثر الأكبر في إنجاحها .

إن هذه القرارات والتوصيات قد تم الاتفاق عليها من خلال تفاهم الجانبين الإسلامي والمسيحي حول معنى الحوار وأهدافه وضوابطه ، فقد اتفقا على أن المقصود منه هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الدينين المعلومات والأفكار والحقائق ، التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر وتاريخه وحضارته وسائر أمره ، توضيحاً لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقي أو الاختلاف بطريقة مخلصة وموضوعية ، يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه في جو من الود والاحترام المتبادل وإن الجانبين المتحاورَيْن يغتنمان هذه الفرصة المباركة لتقديم أجزل الشكر وأوفاه لجميع الذين شاركوا في هذه الندوة ، إما بحضورهم ، أو مناقشتهم ، أو مراقبتهم ، أو قيامهم بأي عمل من الأعمال المتعلقة بإنجاح هذا الحوار ، مهما يكن هذا العمل متواضعاً ، لأنه عند الله عظيم .

مسك الختام :

إنا نحمد الله القدير الذي هيأ لنا بواسع رحمته أن نعيش في جو من الأخوة الكاملة أيام الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس [1] .

---

[1] - بعد تلاوة البيان النهائي وانتهاء الجلسة الختامية ، صدر بيان مشترك أعلن في روما وطرابلس يوم ٨ صفر ١٣٩٦ الموافق ٧ فبراير (شباط) ١٩٧٦ هذا نصه : « يؤكد الجانبان اغتباطهما بالطابع الإيجابي لنتائج هذا الحوار التاريخي المعبّر عنها في البيان النهائي المشترك . أما في ما يتعلق بالبندين : ٢٠ و ٢١ من البيان المشترك فإن البعثة المسيحية ستنقل مضمونهما إلى سلطات الكرسي الرسولي المؤهلة وحدها في بت مسائل من هذا النوع »

- وقد علم بعد ذلك أن سلطات الكرسي الرسولي امتنعت عن التصديق على هذين البندين .

الخاتمة

لقد أكدّت هذه الدراسة من خلال النصوص والوثائق حقيقة ليست غائبة عن أذهان كثير من العلماء المسلمين والمسيحيين ، هي أن الدينين الإسلامي والمسيحي قريبان من بعضهما ، وهذا ليس بالأمر المستغرب ، لأن مصدرهما واحد هو ا لله سبحانه وتعالى ، ولأن وسيلة تلقّيهما واحدة هي الوحي عبر الأنبياء ، ولأن هدفهما واحد هو الإيمان با لله تعالى والإقرار بالعبودية له والخضوع لإرادته والعمل بمشيئته ، والمنتظر من هذا كله أن يكون له انعكاس إيجابي في العلاقات بين رعايا هذين الدينين من المسلمين والمسيحيين تقارباً وتعاوناً وتضامناً لدعم الخير ولمحاربة الشر .

هناك نقاط التقاء كثيرة بين الدينين في المعتقدات وفي أنماط السلوك تساعد على التقارب والتوادّ ، وهناك نقاط خلاف أساسية في بعض العقائد يعرفها كلا الطرفين حق المعرفة ، ويتجاوزانها للوقوف عند نقاط الالتقاء ، ويحترمان بعضهما في مايعتقدانه منها ، وهي ، بالتالي ، لاتقف - بل يجب ألاّ تقف - عامل تعويق في مسيرة الوئام التي يرجى للعالم - إذا اطّردت بنجاح - أن يعم بها الخير ، وذلك لقدرتها على التصدّي لقوى البغي والظلم والماديّة الجارفة .

إن ماضياً مفعماً بالرواسب والعقد والعصبيات والجهل ، يجب أن تنتهي آثاره لتبدأ صفحات جديدة من الفهم والتفاهم ، ولا يتم هذا إلا بالمعرفة الصحيحة التي تحق الحق لأصحابه ، ولا تسمح لأي زيف أو تشويه أن يجرح هذه المعرفة . ولكن كيف تتم هذه المعرفة الصحيحة ؟ إنني بصفتي مسلماً أقول : لا يُتوقَع من مسلم أن يعرف دقائق علوم النصارى ، وإذا كانت لدى بعضنا معلومات خاطئة عنها وجب تصحيحها من أفواه وأقلام علماء النصرانية ، إحقاقاً للحق ، وهو المطلوب وما يجب أن يكون ، وبالمقابل لا يُتَوقع من مسيحي أن يعرف دقائق الإسلام ، ولتصحيح المعلومات الخاطئة ، يتوجب

أيضاً ، تصحيحها من أفواه وكتابات علماء المسلمين ، هذا منطق العدل ، وهـذا منطق الموضوعية ، وما دام الدين ، أيّ دين ، لايقبل الغش والزيف ، فإن التحرّي للوصول إلى الحق في معرفة ما عليه دين الآخرين يصبح مطلباً من صلب مطالب الدين ، وهنا تقع التبعة على العلماء ، وعلى الدعاة من كلا الدينين للوصول إلى المعرفة الصحيحة لحقائق الدين الآخر ، ومن ثم لإعلانها وللتبشير بها ، لكي تعم المعرفة بين الأتباع الذين قد لا تمكّنهم الظروف من امتلاك وسائل هذه المعرفة .

هذا الكلام قد يكون طابعه نظرياً ، ولكنه قابل للتطبيق إذا ترشحت له جهات تملك القدرة على التنفيذ ، كالمؤسسات الدينية في المسيحية مثل الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ، ومثل المؤسسات الكنسية الاقليمية ، وكالمؤسسات الإسلامية مثل الجامع الأزهر ، وجمعيات الدعوة الإسلامية . ووسيلة هذه المؤسسات بأنواعها لتحقيق ذلك ، هو الحوار الذي يجب أن ينعقد ، بقلوب مفتوحة ، وبفكر منصف يبتغي الحق . والمقدمات المحدودة من لقاءات الحوار التي جرت في أجواء من صدق الرغبة في الفهم وفي التعاون ، وكذلك المبادرات التي صدرت عن المؤسسات الكنسية ، سواء في إقامة مؤسسات للتعاون وللحوار ، أو في كتابات منصفة ؛ كل ذلك من المبشّرات التي تنعقد على استمرارها وتوسّعها آمال كبار في تبديد سحب سوء الظن والأحكام المسبقة الخاطئة ومظاهر التعصب ، للوصول إلى معرفة حقائق بعضنا ، ومن ثم إلى إقامة جسورٍ من التعاون تهدف إلى حماية الإنسان من دوّامة الأعاصير الحديثة التي تعصف بأمنه وبطمأنينته .

ربما يُطرح في الذهن تساؤل عن إغفال هذا البحث ذكر المسيحيين المواطنين في البلاد العربية والإسلامية ، وأقول : إن كل ما ذكرناه عن رأي الإسلام في النصرانية وعن أهل الكتاب وأهل الذمة يتصل بهم ويترجم عنهم ، ولكن لابأس من تعريجة يسيرة إضافية قد تنير بعض الزوايا التي لا تبدو معالمها واضحة كل الوضوح . لقد تعايش المسلمون والنصارى في بلادنا في وئام ، وكم هي كثيرة تلك القصص الشعبية المتواترة

عن التوادّ القائم بين كثير من الأسر المسلمة والأسر المسيحية المتجاورة ، النساء مع النساء ، والأبناء مع الأبناء ، والتزاور في مناسبات الأفراح ، والمواساة في مناسبات الأتراح ، والتهاني في المناسبات الدينية ، والتهادي في بعض المآكل المتميّزة ، هذا كان يحصل دائماً بين المتجاورين ، وفي ظل جميع الظروف ، أما المتباعدون في الجوار ، الذين لايعرفون بعضهم عن قرب ، فقد كانت تحدث لدى بعضهم ، في ظل فترات الجهل ، وبإيقاع أحياناً من المستعمرين وعملائهم بعض ألوان التوحس والحساسية ، ولكن سرعان ما كانت تتبدد بحكمة الواعين والعقلاء ، ويعود الوئام والصفاء إلى مجاريهما الطبيعية . بل كان بعض النصارى يقفون ضد بعض آخر إذا أحسوا منهم شططاً أو غلطاً ، وأضرب لذلك مثلاً بسيطاً حدث في حلب [1] أيام احتلال الفرنسيين، وذلك في أواسط الثلاثينات من هذا القرن ، وذلك حين حدثت فتنة أجج الفرنسيون وقودها بين بعض المسلمين وبعض النصارى تحت شعار (الشارة البيضاء) للفئة المسيحية ، ولكن بعض كرام المسيحيين تصدوا لها ، وكانوا يداً واحدة مع إخوانهم المسلمين ، ونذكر من هؤلاء الكرام الوجيه المسيحي جرجي خوام المشهور عند المسلمين والمسيحيين باسم : (أبو جبرا قطوش) الذي جرح آنذاك ، كما وقف ضدها من وجوه المسيحيين الأستاذ ليون زمريا الذي لاحقه الفرنسيون ، فلجأ إلى دار الوجيه المسلم الحاج عبده المصري في حي الأصيلة (القصيلة)، واحتمى عنده . وكما أن الشيء بالشيء يذكر ، فإن حادثة أخرى تعطي أكبر الدلالة على المودة والمعاشرة الطيبة ، ذلك أن القائد الفرنسي الجنرال غورو الذي احتل بلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى ، زار حلب سنة ١٩٢٠ واتصل بالوجيه المسيحي جرجي هب الريح ، وطلب منه أن يتعاون مع الفرنسيين وكان جواب السيد هب الريح يمثل صفعة لغورو حين قال له : « الغزاة يذهبون ، ونبقى نحن الأهل

---

[1] حادثة الشارة البيضاء استقيناها شفوياً من الأخ الدكتور حسين مصري نجل الوجيه الحاج عبده المصري عن والده .

والجيران » [1] . هذا ولا ننسى المواقف الوطنية والاجتماعية للمطران إيسيدورس فتال ، مطران الروم الكاثوليك بحلب ، ونذكر منها على الخصوص موقفه من السلطات الفرنسية حين رفض طلبها معاونته بتأييد تمديد بقائهم في سورية [2] .

وإذا ذكرت بعض الشخصيات العامة في البلاد العربية ، فإن أسماء لرجال كبار من المسيحيين تكون مع الطلائع منها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ودون الدخول في التفصيلات البابا شنوده ومكرم عبيد في مصر والمطران كبوشي وحنان عشراوي في فلسطين ، وأبو محمد مارون عبود ، والشاعر القروي والأخطل الصغير وحليم دمّوس في لبنان . أما في سورية فإننا نذكر فارس الخوري وليون زمريا والمحامي فتح الله صقال ، الذي تولى الدفاع بحرارة وبجدارة عن الزعيم المجاهد إبراهيم هنانو وعن ثورته ضد الفرنسيين في المحاكم الفرنسية بسورية ، كما لا ننسى المواقف الوطنية والإيجابية لرجلين من كبار رجال الكنيسة في سورية ، هما : البطريرك مكسيموس الرابع حكيم ، بطريرك الروم الكاثوليك في الشرق الأدنى ، ثم خَلَفَهُ الحالي البطريرك مكسيموس الخامس حكيم ، ومن مواقف هذا الرجل وكلماته نذكر له مقطعاً من كلمة ألقاها في جامعة الجزائر عام ١٩٧٨ ، بمناسبة منحه الدكتوراه الشرفية ، وهو يركز فيها على وشائج النسب وعلى التقارب في العقائد ، ويقول : « إننا ، نحن العرب المسلمين والعرب المسيحيين ننتمي إلى أصل واحد ، ونعبد الإله الواحد ، ونكرم الأنبياء أنفسهم وخلاصنا في اعترافنا بالفريق الآخر ، وبما يجسّد من قيم » [3] .

وقد يكون مناسباً أن نطعّم خاتمة حديثنا بأبيات من الشعر وردت على لسان طائفة من الشعراء المسيحيين والمسلمين ، كلها تلهج بروح المحبة ، وتنضح بروح التقدير لدين

---

[1] المصدر نفسه ـ رواية عن الحاج يوسف هب الريح نجل السيد جرجي المذكور للدكتور حسين مصري .

[2] حادثة المطران فتال مع الفرنسيين استقيناها من سيادة المطران يوحنا جنبرت .

[3] مجلة « الملكيون » : ص٢٦ .

الآخر ، ولنستمع إلى أحمد شوقي يخاطب سيدنا عيسى عليه السلام مشيداً بدين الرحمة والمحبة الذي جاء به :

عيسى ، سبيلك رحمةٌ ومحبّةٌ — في العالمين وعصمةٌ وسلامُ
ما كنت سفّاكَ الدماء ولا امرَأً — هان الضعافُ لَدَيْه والأيتام
يا حاملَ الآلام عن هذا الورى — كثُرَتْ علينا باسمك الآلام

ولنستمع أيضاً إلى الأخطل الصغير الهائم في حب يثرب والقدس :

نحن ، يا أختُ ، على العهد الذي — قد رضعناه من المهد كلانا
يثربٌ والقدسُ منذ احتلما — كعبتانا ، وهوى العُرْب هوانا

أما الشاعر القروي فيذهب المذهب نفسه في الحب دونما أية حساسية :

أنا العروبة لي في كل مملكةٍ — إنجيلُ حبٌ ، ولي قرآنٌ إنعام

أما الشاعر عبد الله يوركي حلاق ، فإنه يرى المسلمين والنصارى إخوة متحابين متعانقين دائماً ، مؤكداً على وحدتهم ضد المفرّقين والمخربين :

عانق المسلمون أبناء عيسى — والنصارى قد عانقوا الإسلاما
فلْيَمُتْ زارعُ الشقاق فإنا — أمة تأبى أن تموت انقساما

هذا غيض من فيض سقناه للترويح من جهة ، ولدلالاته المعبرة عن روح الأخوة التي تجمع المسلمين والمسيحيين في رحاب الحب والود من جهة أخرى .

ويبقى لنا أمل ورجاء ، هو أن يكون لإخواننا المسيحيين مواطنينا رأي في الإسلام والمسلمين ، من خلال ما عرفوه خلال التعايش عبر مئات السنين ، وأن ينقلوا هذا الرأي إلى الغرب الذي ما زال معظمه يجهل الكثير الكثير عن الإسلام ، وعن نبيّ الإسلام ، ولأن صيحات الإنصاف التي بدأت تتعالى في الغرب ما زالت قليلة وضعيفة ، وتحتاج إلى كثير من الدعم والتأييد ، لكي تتواصل ، وتتقوى ، وتعطي أُكلها المطلوبة ، ولعل ما كتبته الباحثة المستشرقة المسيحية الأوربية « زيغريد هونكة » في تأكيدها هذا الطلب ، يغني عن كثير من التعليق ، قالت : « ليس المهم أن نوسع آفاقنا التاريخية فحسب ، بل إن الأمر الهام أيضاً في زمننا هذا ، أن نبحث عن صديق الغد في عدو الأمس ، وأن ننطلق من قيود المعتقدات الدينية السابقة لنُطِلّ من وراء العقائد ، ومن خلال التسامح والإنسانية السامية ، على البشر أجمعين ، وأن تأخذ العدالة مجراها ، وتُرَدَّ حقوق شعب سبق أن حرمه التعصب الديني كل تقدير موضوعي حق ، وحطّ من قدرة أعماله الفائقة ، وحجب النور عما قدمه لحضارتنا . بل وغلّله بصمت الموت .

أما زال هذا العمل يعتبر مبكراً ؟ ولم يحن وقت القيام به » (١)

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريد هونكة ص١٢ .

كشاف المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العامة :

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد

٣ ـ كتاب بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس / ليبيا ـ ١٩٨١

٤ ـ الموسوعة العربية الميسرة : مصر ـ ١٩٥٩ .

٥ ـ مجلة (العربي) .

٦ ـ مجلة (الملكيون) : الاتحاد العام للروم الملكيين الكاثوليك ـ العدد ٧ و ٨ سيبتمبر ١٩٨٩

٧ ـ جريدة الكفاح العربي .

٨ ـ جريدة (لاكروا) الفرنسية .

المراجع مرتبة معجمياً بحسب المؤلفين :

« بعد حذف (أل) التعريف » وألفاظ الكنى (أب ـ أم ـ ..)

٩ ـ أنطونيوس : جورج

ـ يقظة العرب : تعريب الدكتور ناصر الدين أسد والدكتور إحسان عباس / دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٣

١٠ ـ إيبالثا : الأستاذ ميكال :

ـ محمد ، الرحل التاريخي وقيمه : بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني .

١١ ـ إيرناندث : الدكتور ميجيل كروث :

ـ الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كوّنتها المسيحية عن النبي محمد ـ بحث من أدبيات المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الثاني بقرطبة ١٩٧٧

١٢ ـ بورمانس : الأب موريس :

١ ـ الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء بينهما في ميادين الحياة : بحث ألقي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ١٩٧٦ ونشر في كتاب : بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي .

٢ ـ مواقف المسيحيين تجاه التصوّر الإسلامي ليسوع المسيح : من أدبيات مؤتمر قرطبة الإسلامي المسيحي العالمي الثاني ١٩٧٧ .

١٣ ـ ليوتي بيير : PIERRE LYAUTY

ـ الجنرال غورو : GOURAUD ـ باريس ـ جيّار : PARIS - JILLARP 1949

١٤ ـ البيهقي : أحمد بن الحسين

ـ السنن الكبرى ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د.ت

١٥ ـ ترانكون : الكاردينال أنريكي ، مطران مدريد ورئيس أساقفة اسبانيا

ـ مكانة عيسى ومحمد في المسيحية والإسلام : بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني .

١٦ ـ ترتون : الدكتور ا . س . ترتون

أهل الذمة في الإسلام (نقل عن الأستاذ محمد الغزالي في كتابه « التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ») .

١٧ ـ جب : الدكتور : ا . ر . جب

ـ أين الإسلام ـ لندن ١٩٣٢ .

١٨ ـ ابن جُزَيّ : محمد بن أحمد بن جُزَيّ الكلبي

ـ تفسير « التسهيل لعلوم التفسير » ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٣

١٩ ـ الجلعود : محماس بن عبد الله

ـ الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ـ دار اليقين ـ المنصورة مصر ١٩٨٧

٢٠ ـ حايك : ميشال

ـ المسيح في الإسلام : باريس ـ ليسويل ١٩٥٩ .

٢١ ـ حبشي : حسن

ـ نور الدين والصليبيون : دار الفكر العربي ـ مصر ١٩٤٨ .

٢٢ ـ ابن حزم : علي بن أحمد

ـ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات ـ القاهرة ـ مكتبة القدسي ١٩٣٨

٢٣ ـ حسن : الدكتور فضل عباس حسن

ـ قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ـ دار البشير ـ عمان ١٩٨٨

٢٤ ـ حسين : الدكتور محمد محمد

ـ الإسلام والحضارة الغربية ـ دار الإرشاد ـ بيروت ١٩٦٩

٢٥ ـ حميد الله : محمد

ـ « نقاط سوء فهم حيال نبيّ الإسلام لدى المسيحيين » ـ بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني

٢٦ ـ ابن حنبل : أحمد

ـ مسند أحمد بن حنبل : دار صادر ـ بيروت ـ د.ت

٢٧ ـ أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي

ـ سنن أبي داود ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ت

٢٨ ـ دراز : محمد عبد الله

ـ الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ـ مصر ١٩٦٩

٢٩ ـ الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان

ـ العِبَر في خبر من غبر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٥

٣٠ ـ الزمخشري ـ محمود بن عمر بن محمد

ـ تفسير (الكشاف) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ت

٣١ ـ السباعي : الدكتور مصطفى

ـ اشتراكية الإسلام ـ دار المطبوعات العربية ـ دمشق ١٩٦٠

٣٢ ـ سذَرن : ر . و . سذَرن

ـ نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ـ تعريب الدكتور علي فهمي خشيم والدكتور صلاح الدين حسن ـ مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٥

٣٣ ـ شاندور : ألبير

ـ صلاح الدين البطل الأنقى في الإسلام : ترجمة سعيد ابو الحسن ـ دار طلاس ـ دمشق ١٩٨٨

٣٤ ـ الصالح : الدكتور صبحي

ـ الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات : بحث من أدبيات ندوة الحوار الإسلامي بطرابلس سنة ١٩٧٦

٣٥ ـ صفوة : نجدة فتحي

ـ الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ـ دار الساقي ـ لندن ١٩٩٦

٣٦ ـ الطَبَراني : سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي

ـ المعجم الوسيط ـ بيروت ـ د.ت

٣٧ ـ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي
ـ تفسير « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز » ـ تحقيـق الرحـالي الفـاروقي وآخرين ـ قطر ١٩٧٧

٣٨ ـ العظمة : عبد العزيز
ـ مرآة الشام وتاريخ دمشق وأهلها ـ دار رياض الريس ـ لندن ـ د.ت

٣٩ ـ ابن العماد : عبد الحي بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلي
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ دار الفكر بيروت ١٩٧٩

٤٠ ـ الغزالي : محمد
١ ـ الإسلام والاستبداد السياسي : مصر ـ د.ت
٢ ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ـ دار الكتاب العربي ـ مصر ـ د.ت

٤١ ـ الفاروقي : الدكتور إسماعيل
ـ « الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن اللقاء » ـ بحث ألقـي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ، ونشر في كتاب ـ بحـوث ووثـائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ـ ١٩٨٦ ـ ليبيا

٤٢ ـ فوكوياما : فرنسيس
ـ نهاية التاريخ : ترجمة دار البيان ـ مصر ١٩٩٠

٤٣ ـ الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب
ـ القاموس المحيط : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٧

٤٤ ـ القرافي : أحمد بن ادريس الصنهاجي
ـ الفروق : « أنوار البروق في أنواء الفروق » ـ تونس ١٣٠٢

٤٥ ـ القرشي : يحيى بن آدم
ـ الخراج ـ المطبعة السلفية ـ مصر ١٩٦٤

٤٦ ـ القَرَضاوي : الدكتور يوسف

ـ الحلال والحرام في الإسلام ـ قطر ١٩٧٨

ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٩٤

٤٧ ـ كاري : جورج : رئيس أساقفة كنتربري

ـ تصريح لجريدة الكفاح العربي عن عمق احترامهم للإسلام

٤٨ ـ ابن كثير : إسماعيل بن عمر

ـ البداية والنهاية ـ مصر ـ مكتبة الخانجي ١٩٣٢

٤٩ ـ كرينلس : دينكان

ـ رسالة الإسلام (نقلاً عن بحث بعنوان : « موقف الإسلام من الأديان الأخرى ») للدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان بالسودان ـ من أدبيات ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس

٥٠ ـ لانفري : الأب جاكوب

ـ « كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا » بحث ألقي في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ، ونشر في كتاب « بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي » ١٩٨١

٥١ ـ لولون : الأب ميشال : الأمين الدائم للأمانة الكاثوليكية للعلاقات مع الإسلام بباريس

ـ « التطور الحديث في الرأي العام الفرنسي تجاه نبيّ الإسلام » بحث من أدبيات مؤتمر قرطبة الثاني

٥٢ ـ ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني

ـ سنن ابن ماجه : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ت

٥٣ ـ مؤنس : الدكتور حسين

ـ نور الدين محمود ـ القاهرة ١٩٥٩

٥٤ ـ مجموعة من المؤلفين

ـ وسائل عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين ـ المكتبة البولسية ـ لبنان ـ ١٩٩٢

٥٥ ـ أبو مخ : الدكتور فرنسوا

ـ « أهداف أي حوار إسلامي مسيحي » تصريح نشر في جريدة (لاكروا) ونشر في كتاب بحوث ووثائق ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس ص١٠٤

٥٦ ـ المسفر : الدكتور محمد صالح

ـ العَرَب والغَرْب والعَوْلَمة ـ دار مكتبة الفتح ـ قطر ١٩٩٨

٥٧ ـ مسلم بن الحجاج القشيري :

ـ صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ـ دار الخلافة العلية ـ ١٣١٤هـ

٥٨ ـ هانتينغتون : صامويل . بي

ـ الإسلام والغرب ـ آفاق الصدام ـ ترجمة مجدي شرشر ـ مكتبة مدبولي ـ مصر ١٩٩٥

٥٩ ـ ابن هشام : عبد الملك بن هشام

ـ سيرة النبيّ ﷺ ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة ١٩٣٧

٦٠ ـ هونكة : زيغريد

ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ بيروت ـ د.ت

٦١ ـ وات : مونتغمري

ـ فضل الإسلام على الحضارة الغربية ـ ترجمة حسين أحمد أمين ـ دار الشروق ـ بيروت والقاهرة ١٩٨٣

٦٢ ـ الواحدي : علي بن أحمد

ـ أسباب النزول ـ تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار الكتاب الجديد ـ مصر ١٩٦٣

٦٣ ـ اليافعي : عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ١٩٩٣

٦٤ ـ أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري

ـ الخراج ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٩٦٢

الكشاف العام

الموضوع	رقم الصفحة